مقومات رجل الدين

آية الله العظمى
الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي
(قدس سره الشريف)

الطبعة الأولى
١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر
بيروت لبنان ص ب ٦٠٨٠ / ١٣ شوران

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

سورة البقرة ١٥٦

كان هذا الكتاب ماثلاً للطبع، إذ تلقينا ببالغ الحزن والأسى نبأ ارتحال المرجع الديني الأعلى **الإمام السيد محمد الحسيني الشيرازي** (قدس سره) ، حيث فجع العالم الإسلامي والحوزات العلمية بفقده، وهو في عز عطائه..

لا صوت الناعي بفقدك إنه يوم على آل الرسول عظيم

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً
فَلَوْلاَ نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ
لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ
وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ

صدق الله العلي العظيم

سورة التوبة : الآية ١٢٢

كلمة الناشر

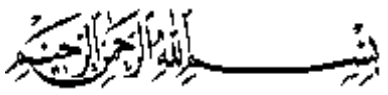

﴿يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيرا ۞ وداعيا إلى الله بإذنه وسراجاً منيرا﴾[1].

من السمات الأساسية التي يتصف بها علماء الدين ـ بما انهم ورثة الأنبياء عليهم السلام كما ورد في الحديث الشريف[2] ـ ومن خلال ما أسبغت الآية الشريفة على النبي محمد صلى الله عليه وآله هي:

الحضور في وسط الأمة.

والتبشير بالرحمة الآلهية.

والدعوة إلى الله.

والقدوة الحسنة في الخير.

مضافاً إلى العلم والتقوى والعمل الصالح.

إن الهدف من بعثة الأنبياء عليهم السلام وكما هو واضح، هو إنقاذ الإنسان من ظلمات الجهل وإخراجه من الضلالة إلى أنوار الهداية والمعرفة ليبصر طريقه على هدى في الدنيا، وينال سعادة الآخرة.

ورجل الدين يعرف أن الشخصية الرسالية لا تنال بالأماني ولا تكون بالإنزواء في إحدى زوايا البيت، بل هي بالعمل الدؤوب والتفاني في سبيل خدمة الدين وتحمل الأذى في جنب الله، وذلك لأن الهدف المرجو كبير وعظيم جداً.

ولقد أشار القرآن الكريم مراراً إلى هذه المسألة من خلال عرضه لسيرة الأنبياء عليهم السلام مع

---

(١) سورة الأحزاب: ٤٥-٤٦.

(٢) راجع الكافي: ج١ ص٣٥ باب ثواب العالم والمتعلم، ح١، وفيه: «وإن العلماء ورثة الأنبياء».

أممهم وما لاقوه من الأذى وتحملهم لذلك، وكان نبينا ﷺ أكثرهم أذية وتحملاً في ذات الله، ولقد صح عنه ﷺ قوله : «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»[٣]. وكذلك كان أمير المؤمنين علي عليه السلام والأئمة الطاهرين (صلوات الله عليهم أجمعين).

علماً بأن هذه المصاعب والعنت من القوم والأذى تجعل من رجل الدين أكثر صبراً ومقاومة في سبيل نصرة الحق، فإنه يعرف عاقبته الحسنة حيث يقول الله تعالى: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِما صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[٤].

ومن هنا فلا تسيطر عليه روح الإنهزامية والتخاذل، فإن العالم العامل لا يعرف للإنهزام والتخاذل معنى في حياته، وذلك بما ورثه عن النبي ﷺ في تبليغ الرسالة الإلهية.

مضافاً إلى اتصاف رجل الدين بالعطف والرحمة، وحسن الخلق والمداراة للناس، والتعامل معهم بالحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة إلى السلم وإرساء قواعد الأخلاق الطيبة واللاعنف في مختلف جوانب الحياة، وذلك من خلال تعامله اليومي وإرشاداته المستمرة، بعيداً كل البعد عن مبدأ العنف والخشونة، وما يوجب تشويه سمعة الإسلام والمسلمين.

إن نبذ العنف وإشاعة المحبة والسلام من أولويات المجتمع المدني المسالم، وقد ظهرت هذه الحقيقة جلية واضحة منذ أن وطئت قدما آدم وحواء وابنيهما على هذه الأرض بعد ما خدع الشيطان قابيل حتى عادى أخاه هابيل حينما قربا قرباناً فتقبل من هابيل ولم يتقبل من قابيل، فطوعت نفس قابيل له قتل أخيه في مشهد مأساوي يحز في النفس لا ينقضي أبد الدهور، قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ۞ لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ۞ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾[٥].

فنرى كيف يكلم هابيل أخاه الظالم بذلك القلب العطوف الرحيم مبيناً له خطأه وسوء فهمه وأن قبول الأعمال لا تأتي اعتباطاً وإنما ملاكها التقوى ، ثم يرشده إلى أن التقوى هي

---

(٣) بحار الأنوار : ج ٣٩ ص ٥٦ في مساواته يعقوب ويوسف عليهما السلام .

(٤) سورة الرعد: ٢٤.

(٥) سورة المائدة : ٢٧ – ٣٠.

التي تمنعه من المقابلة بالمثل وأن لاتعالج الأخطاء بأخطاء مثلها أو أفدح منها، وأن العنف لا يكون علاجاً للعنف، وكان هذا الموقف من هابيل موقف القوة بقوة الحق لا موقف ضعف واستسلام..

إن الدعوة إلى الله تتطلب من العالم أن يأخذ بأسباب العلم أولاً وأن يسخرها لخدمة الناس، فلقد عانت الأمة الإسلامية من مشاكل كثيرة تتطلب حضور العالم الرباني في أوساط الأمة لتصديها، فقد أصبح الأعداء بالقرب من مراكز القوة والقرار في الأمة واخذوا يثيرون الشبهات ويبثون الأفكار السامة في أوساط الشباب.

إن كل هذا يتطلب من العالم العامل أن يكون واعياً بما يحيط به ويدور حوله وأن يعي دوره ويعطيه حقه وهذا ما نلمسه جلياً في حياة الإمام الراحل المرجع الديني الأعلى السيد محمد الشيرازي (قدس سره الشريف) وكذلك في كتاباته القيمة التي تجاوزت ١٢٥٠ كتاباً.

وجاء هذا الكتاب (مقومات رجل الدين) ليبين مهمات العالم الديني ودوره الرسالي في تبليغ الشرع المبين، مدعماً ذلك ببعض القصص والشواهد التاريخية من سيرة علمائنا الماضين (أعلى الله مقامهم الشريف) داعياً إلى الاقتداء بهديهم والتمسك بنهجهم بعد ما كان هو أول من عمل بها على ما تدل عليه سيرته العطرة وآثاره القيمة.

ونحن في مؤسسة المجتبى وفي هذه المقدمة حيث وصلنا النبأ المفجع لرحيل هذا العالم الرباني الذي قلما رأى تاريخ العلماء مثله في الأوساط العلمية والتبليغية، لانريد أن نضيف على كلام الإمام الراحل (أعلى الله درجاته) شيئاً وإنما نترك للقارئ الكريم المجال ليطلع هو بنفسه على ما سطرته أنامله الشريفة (قدس سره) آملين من الله العلي القدير أن ينفع بهذا الكتاب كما نفع بغيره، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

مؤسسة المجتبى للتحقيق والنشر

بيروت لبنان ص.ب: ٦٠٨٠ / ١٣

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أما بعد: فقد كتبت هذا الكراس لرجال الدين الكرام، وسميته: (مقومات رجل الدين) وذكرت فيه بعض ما ينبغي لرجل الدين من الالتزام به، والتي من أهمها بعد التسلح بالتقوى والجدّ في تحصيل العلم أمور تالية:

١: التأليف.

٢: المنبر.

٣: التدريس.

٤: المحراب.

٥: التأسيس.

مضافاً إلى أمر آخر هو من أهم الأمور بالنسبة إلى رجل الدين، ألا وهو: (الاهتمام بالمعنويات والآخرة، والإعراض عن الماديات والدنيا).

إن الاهتمام بالمعنويات إذا التقت في رجل الدين مع الأمور الخمسة المزبورة، أثمرت ثماراً طيبة، وأنتجت نتاجاً حسناً، بينما لو اتقن رجل الدين كل هذه الأمور الخمسة بكاملها ولم يهتم بالمعنويات، لم يستطع بلوغ هدفه الأسمى، ولا نيل غرضه الأعلى، الذي هو: الفوز بالآخرة والجنة.

وإنما يكون الهدف الأسمى، والغرض الأعلى هو: الفوز بالآخرة والجنة، لأن الدنيا ـ كما وصفها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ «دار ممر لا دار مقر..»[٦] ولأن «الدنيا تضرّ وتغر وتمرّ»[٧]

---

(٦) نهج البلاغة، قصار الحكم: ١٣٣.

(٧) نهج البلاغة: قصار الحكم: ٤١٥.

ولأن الآخرة كما وصفها الله تعالى: ﴿لهي الحيوان﴾[٨] ولأن الفوز الواقعي هو الفوز بالجنة كما قال سبحانه: ﴿فمن زُحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز﴾[٩].

هذا ولا يخفى: أن المقصود بالإعراض عن الماديات والدنيا هو أن لا تكون هدفاً لرجل الدين، وإلا فهي خير وسيلة للآخرة، كما أن المقصود من الاهتمام بالمعنويات والآخرة هو: أن لا يجعلها رجل الدين وسيلة، بل تكون له هدفاً، فيسعى في تحصيل رضا الله سبحانه وتعالى في كل حركاته وسكناته، وأفعاله وأقواله، ونومه ويقظته، وسفره وحضره، وفي كل أموره وأحواله، وذلك بأن يرى الله تعالى عليه رقيباً، ومنه قريباً، وله حسيباً ولأعماله مجازياً، وان يعلم أنه يتقلب في قبضته وإراداته، وأن ناصيته بيده وبمشيئته، وأنه لا طاقة له على الخروج من سلطانه، ولا يمكنه الفرار من حكومته.

ولقد قال لي بعض أساتذتنا وهو يوصيني بوصاياه وينصحني بنصائحه: أنه ينبغي لرجل الدين أن ينوي القربة لله تعالى وأن يقصد رضا الله سبحانه في كل صغيرة وكبيرة من أعماله، حتى في مثل الاستجمام والاستحمام، وحتى في مثل قضاء الحاجة والرفث إلى النساء، فكيف بالتأليف والتصنيف، والتدريس والتأسيس؟

نعم، إن المعنويات والاهتمام بها هي التي ينبغي لرجل الدين التحلي والتزيّن بها، والرعاية والقهر لها، إذ نفعها لا ينحصر في الآخرة فحسب، بل أن نفعها يعمّ الحياة الدنيا أيضاً، وذلك لأن الله تبارك وتعالى كما في الحديث الشريف: أمر الدنيا بأن تخدم من عمل لله وابتغى رضوانه، وان تتعب من عمل للدنيا وابتغى زبرجها وزخرفها.

وقال عزوجل في محكم كتابه: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾[١٠].

فرجل الدين الذي يريد أن تطيب حياته الدنيوية ويسعد في حياته الأخروية، لابد له من الالتزام بالمعنويات، والاهتمام بها، وترويجها في المجتمع، ونشرها في أوساط الناس، حتى يفوز الجميع بحياة طيبة، وآخرة سعيدة.

كان والدي رحمه الله ينقل عن ذكريات صغره: أن والدته (رحمها الله) كانت تعتني بتربيته

---

(٨) سورة العنكبوت: ٦٤.

(٩) سورة آل عمران: ١٨٥.

(١٠) سورة النحل: ٩٧.

وتأديبه غاية الاعتناء وقد كانت هي من الصالحات القانتات وعلى إثر ذلك كان لاتفوتها نافلة الليل وتلاوة القرآن بالأسحار، وكانت إذا قامت لصلاة الليل والتهجد فيه أيقظته معها، واصطحبته إلى مصلاها وأقعدته إلى جنبها وكانت توصيه بالانتباه إليها وعدم النوم والغفلة عنها.

يقول الوالدﷺ: وحيث كنت صغيراً يغلب علي النوم، ولم أكن في سن أقدر على الصلاة معها، كانت تجعل أمامي ظرفاً وتجعل فيه شيئاً من الحمص والكشمش لأشتغل عن النوم بالأكل منها واللعب بها.

نعم، إن رجال الدين القدامى حيث كانوا يهتمون اهتماماً كبيراً بالمعنويات، ويجتهدون غاية الجهد في تحصيل العلم، كانوا قد حازوا على قصب السبق في أمور الدنيا وأمور الآخرة معاً، حتى ذكر بعض العلماء: بأن مائة ألف عالم إسلامي بزغ في سماء الإسلام، ولمدة خمسة قرون ماضية، وفي مختلف العلوم الإسلامية والطبيعية من فقه وأصول، وعقائد وحقوق، وطب وهندسة، وحساب وهيئة، وما إلى ذلك.

لكنه من اليوم الذي قل الاهتمام بالمعنويات، وضعف الجد في تحصيل العلم، لم يبزغ في سماء العلم من يحوز على قصب السبق في العلوم الإسلامية والعصرية من رجال الدين عدد يذكر إلا النزر القليل والنادر الضئيل، وقد أثر ذلك على كافة مراحل الحياة الدينية والدنيوية، حتى أن هناك مجلة عربية تصدر في بلد عربي، تراها قد ذكرت في بعض أعدادها اللغات الحية في العالم، ولم تذكر من بينها اللغة العربية، ولم تصفها بكونها لغة حية.

هذا مع أن اللغة العربية هي لغة القرآن، ولسان الوحي وحوار أهل الجنة، وبها نزل آخر صيغة لقوانين السماء، وأعظم منشور لحقوق الإنسان، وأكمل دستور لحياة الفرد والمجتمع، والحاكم والرعية، وذلك في كل المجالات الفكرية والثقافية، والسياسية والاقتصادية، والاجتماعية وغيرها، مما يستدعي أن تكون اللغة العربية هي اللغة المشتركة، واللغة الحية على مستوى العالم كله، وقد نوّه بذلك رسول الله ﷺ حين دعا الناس إلى الإسلام قائلاً: «يا معشر العرب: ادعوكم إلى عبادة الله، وخلع الأنداد والأصنام، وادعوكم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، فأجيبوني تملكون بها العرب، وتدين لكم بها العجم، وتكونوا ملوكاً في

الجنة»[11].

نعم، إن قوله ﷺ: هذا، أي تكونوا سادة وقادة، ولقد كانوا كذلك، حيث ساد المسلمون في الدنيا، وأصبح كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ملوكاً على كثير من مناطق العالم، ومن تتبع التاريخ استطاع أن يكتب كتاباً في الصحابة الذين حكموا الخليج وغيرها.

ولعله أراد ﷺ أيضاً من قوله، أن تكونوا سادة العلم وقادته، فإن العلماء ورجال الدين هم الحكام على الملوك والرؤساء، وذلك كما جاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام حيث يقول: «الملوك حكام على الناس، والعلماء حكام على الملوك»[12].

أجل، إن العلماء حكام على الملوك إذا اهتموا بالمعنويات، واجتهدوا في تحصيل العلم، وإذا قرنوا العلم بالعمل، والعمل بالتقوى، فان «التقوى مع العلم قوة» كما ورد، فنسأل الله أن يوفقنا للعلم والتقوى إنه خير موفق ومعين.

قم المقدسة

محمد الشيرازي

---

(١١) إعلام الورى: ص٣٩ ب٣ ف١ في ذكر مبدأ المبعث.

(١٢) بحار الأنوار: ج١ ص١٨٣ ب١ ح٩٢.

١

التأليف

من مقومات رجل الدين: التأليف، فينبغي لرجل الدين أن يؤلف الكتب النافعة للدين والدنيا، فان الإسلام دين ودنيا معاً، وذلك كما قال سبحانه: ﴿فمن الناس من يقول ربنا آتنا في الدنيا وماله في الآخرة من خلاق ۞ ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار ۞ أولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾[١٣].

أما أن يقتنع رجل الدين بإرشاد الناس في الأمور الدينية فحسب، أو يقتنع بإرشادهم في الأمور الدنيوية فقط، فليس ذلك حسب الموازين الواردة في الآيات والروايات، ولا وفق السيرة التي سبق عليها الفقهاء المؤلفون.

ومن الواضح: أن التأليف هو فن خاص، إذ هو بالإضافة إلى احتياجه إلى العلم، يحتاج إلى الخبرة في كيفية بيان المطالب بفصاحة وبلاغة، وتصويرها بصورة جميلة وواضحة تستطيع إقناع الناس واستهواءهم ولكنه ليس بصعب ويمكن لكل أحد أن يبدأ به.

وقد ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «المؤمن إذا مات وترك ورقة واحدة عليها علم، تكون تلك الورقة يوم القيامة سترا فيما بينه وبين النار، وأعطاه الله تبارك وتعالى بكل حرف مكتوب عليها مدينة أوسع من الدنيا سبع مرات، وما من مؤمن يقعد ساعة عند العالم إلا ناداه ربه عزوجل جلست إلى حبيبي فوعزتي وجلالي لأسكنتك الجنة معه ولا أبالي»[١٤].

نشر العلم وعدم كتمانه

هذا وقد ورد الحث الكبير على نشر العلم وعدم كتمانه، ومن الواضح أن التأليف من مصاديق النشر، وكذلك المنبر، وهكذا التدريس على ما سيأتي.

قال تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقاً منهم

---

(١٣) سورة البقرة: ٢٠٠.٢٠٢.

(١٤) وسائل الشيعة: ج٢٧ ص٩٥-٩٦ ب٨ ح٣٣٣٠٨.

ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾[١٥].

وقال سبحانه: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾[١٦].

وقال تعالى: ﴿إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم﴾[١٧].

﴿وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولاتكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون﴾[١٨].

التأليف وكثرة وسائل الإعلام

ثم إن التأليف من الأشياء المهمة جداً حتى في زمن كثرة وسائل الإعلام، كالراديو والتلفزيون والإنترنت والقنوات الفضائية وما أشبه، فان كل واحد من هذه الوسائل له أهميته الخاصة إلى جانب أهمية الكتاب والمجلة والنشرة وما أشبه، وقد اهتم بالتأليف ونشر الثقافة عبر الكتاب كل من الأديان والمبادئ الصحيحة والباطلة، وإليك بعض القصص وهي قطرة من بحر وفيض من غيض للدلالة على ما ذكر وذلك بقدر ما يسعه هذا الكتاب.

عند مفترق الطريق

ذات مرة ذهبنا على عادتنا لمهمة دينية إلى الكاظمية المشرفة، ثم رجعنا إلى كربلاء المقدسة، وفي طريقنا كان الرجوع من بغداد، وعندما وصلنا مفترق الطريق توقفت السيارة لأجل الإشارة الحمراء وذلك على مقربة من الجسر، وتوقفت حوالينا سيارات كثيرة كما هي العادة حيث التوقف عند الإشارة الحمراء، وهنا عمدت إلى نافذة السيارة وأنزلت زجاجتها لأن الهواء كان حاراً جداً وإذا بي أرى أن شيئاً حجيماً ألقي في سيارتنا، فنظرت فإذا هو مجموعة من الكتب ولعلها كانت عشرة أو عشرين كتاباً فتعجبت وتابعت بنظراتي إلى خارج

(١٥) سورة البقرة: ١٤٦.

(١٦) سورة البقرة: ١٥٩.

(١٧) سورة البقرة: ١٧٤.

(١٨) سورة آل عمران: ١٨٧.

السيارة لأرى من الذي رمى بهذه الكتب في داخل سيارتنا، فإذا بي أرى قساً مسيحياً بلباسه الخاص وأمامه عربة ممتلئة من الكتب يسوقها حمال معه وكلما وصل إلى سيارة مفتوحة نافذتها أخذ مجموعة من الكتب وألقاها فيها. ثم إني أخذت أتصفح تلك الكتب فكانت كتباً متنوعة تبلغ للمسيحية وتبشر بها، وكان من جملتها كتاب الإنجيل أيضاً.

هذا ولا يخفى أن هذه القصة قد اتفقت لي قبل خمس وأربعين سنة، أي: قبل نصف قرن تقريباً.

نعم إنهم عملوا ليلاً ونهاراً حتى استطاعوا أن يأتوا بعملائهم مثل عفلق إلى بغداد، ومثل صدام لغزو الكويت. ومثل الملا عمر لتسخير كابل، وغيرهم ممن عاثوا الفساد في البلاد، وعرضوا المنطقة للدمار، وذلك بعدما سلبوا ثروات المنطقة، وبدّلوا دين الناس، وقد قال الشاعر:

لا تقولن مضت أيامه

إن من جد على الدرب وصل

وقبل ذلك قال الله في القرآن الحكيم: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظورا﴾[١٩] أي: أن الله تعالى يعطي في الدنيا المؤمنين والكافرين والمنافقين كلا بقدر عمله فإنها دار أسباب ومسببات.

ولقد حرض الله تعالى المؤمنين على العمل في الدنيا بقوله سبحانه: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾[٢٠].

في السوق الكبير

نقل لي أحد علماء النجف الأشرف القصة التالية:

قال: كنت أمرّ بسوق النجف الكبير في طريقي إلى البيت عائداً من زيارة الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وذلك في يوم العيد وإذا بي أسمع همهمة لجماعة من الناس ملتفين حول حمال يحمل فوق رأسه مجموعة من الكتب والى جانبه شخص مسيحي جاء من بغداد ليوزع تلك الكتب بين الأهالي والزائرين المتواجدين في طريقه، وكان من بين تلك

(١٩) سورة الإسراء: ٢٠.

(٢٠) سورة التوبة: ١٠٥.

الكتب كتاب العهدين، فكان ذلك القس المسيحي يعطي لكل واحد من المجتمعين حوله كتاب العهدين مع كتاب آخر مجاناً وكانت تلك الكتب مطبوعة بطباعة جيدة، وذات قيمة، ومن الواضح: أن كل إنسان يهوى الكتاب وخاصة إذا كان بالمجان، سواء أراد الكتاب للمطالعة أم لأجل وضعها في مكتبته فانه يأخذه ولا يعتني بكونه مستقيماً أو منحرفاً، مع أن الانحراف ـ عادة ـ سوف يؤثر على القارئ ولو تأثيراً قليلاً ولو مستقبلاً.

كتاب ومائة دولار

قصّ عليّ أحد الأصدقاء من رجال الدين الذين ذهب إلى شمال العراق للتبليغ ما يلي:

قال: ذهبت إلى كردستان العراق لإلقاء المحاضرات في حسينية الرسول الأعظم ﷺ في شهر رمضان، وذلك في أيام محنة العراق والحظر الاقتصادي وإعلان المنطقة الآمنة، واحتياج الناس إلى لقمة الخبز، في هذه الظروف القاسية والصعبة، لفت نظري في يوم من الأيام وأنا في طريقي إلى الحسينية اجتماع من الناس قد علا الضوضاء من بينهم، فدنوت نحوهم لأرى ما الخبر، وإذا بي أرى في وسطهم قساً من قساوسة المسيح والى جنبه عربة مليئة بالكتب، وهو يقدّم لكل واحد من الذين التفوا حوله كتاباً من كتب التبشير بالمسيحية، ويقدم معه مائة دولار، والناس منقضون عليه ويأخذون ما يعطيهم بتلهّف، حتى نفذت الكتب ورجع القس إلى محله.

وكان بين هذه القصة والقصة السابقة ما يقرب من خمسين عاماً من الزمان، يعني: أن المسيحيين قد انتبهوا إلى أهمية التأليف وأهمية الكتاب منذ زمن بعيد، وراحوا من ذلك الزمان يصرفون مبالغ طائلة على التأليف وعلى نشر الكتاب لتغيير ثقافة الناس وتبديل فكرهم ودينهم، وطمعوا حتى في المسلمين الذين هم في أعلى مستويات الفكر الصحيح والثقافة البنّاءة، مما جعلهم وبكفاءة يعرفون بآباء العلم الحديث.

بنغلادش وحملات التنصير

كتبت أخيراً إحدى الصحف عن جمعية خيرية تنصيرية في أمريكا بأنها أرسلت إلى بنغلادش مائتي ألف كتاب، وقد وزعت تلك الكتب على ما يقارب من أربعة آلاف إنسان أو أكثر، وذلك بغية تنصيرهم وتبديل دينهم وعقيدتهم، علماً بأن الكل يعلم بأن بنغلادش بلدة مسلمة وان شعبها شعب مسلم إلا ما شذّ وندر.

ومن المعلوم: أن ظاهرة توزيع الكتب التي دأبت عليها جمعيات التبشير والتنصير ليست ظاهرة بتراء، وإنما وراء هذه الظاهرة دعوة إلى الكنيسة، والى طقوسها العبادية، وإلى اعتناق المسيحية رأساً والانسلاخ عن الإسلام مستغلة جمعياتهم الخيرية فقر الناس وعدمهم، فتستهويهم بتوزيع المعونات عليهم من الأرز والطحين والطعام والخبز، بل والمال والنقود، مع إحداث المستشفيات والمستوصفات، والصيدليات والمدارس، وما إلى ذلك دعماً لحملات التنصير.

نشرات وكتب للمرضى

نقل لي أحد العلماء قصة طريفة حول معالجة عينه، قال: راجعت إحدى المستشفيات في كراجي لعلاج عيني فقالوا لي: هنا مستشفيان لمعالجة العين، مستشفى يكون العلاج فيها بدون أجرة مع تبليغ المسيحية في كل يوم للمرضى، ومستشفى آخر يكون العلاج فيه بأجرة ولكن من دون تبليغ للمسيحية، قال ذلك العالم: ساقني حب الإطلاع على برامج التنصير والتبشير، ومعرفة مدى اهتمامهم وكيفية التزامهم بمهمتهم على أن اختار المستشفى المجانية، فذهبت إليها، فكان في كل يوم يأتي القساوسة المسيحيون إلى غرف المستشفى في وقت مناسب ويلتقون بالمرضى ويعرضون المسيحية عليهم، ومعهم نشرات وكتب يجعلونها في متناول الأيدي، فمن أراد كتاباً أو نشرة أخذ منها مجاناً وبلا عوض، وكانت تلك الكتب والنشرات تحتوي على الدعوة إلى المسيحية والتبليغ للنصرانية، وهي طبعاً لا تخلو من تأثير ولو مستقبلاً.

أرقام نجومية

وهنا لا بأس بأن ننقل بعض الأرقام النجومية التي تتحدث عن التبشير المسيحي في عالم اليوم، فقد توفرت إمكانات هائلة للحركة التبشيرية العالمية في كل النواحي ولتحقيق أغراضهم، ومن الواضح أن بعد التبشير والتنصير يكون الاستعمار، فقد ألف في ذلك أحد علماء لبنان كتاباً باسم (التنصيرية في العالم) وهذا ما نشاهده، فقد بلغ عدد المنظمات التنصيرية في عالم اليوم ما يقارب من: خمس وعشرين ألف منظمة.

بالإضافة إلى أكثر من: عشرين ألف منظمة تعمل في مجال الخدمات.

ويوجد في العالم حوالي مائة ألف معهد تنصيري لنشر الفكر المسيحي.

وبلغت تبرعات الكنائس الدولية لأجل التنصير مائة وواحداً وخمسين ملياراً من الدولارات.

ويوجد حوالي ألف وثلاثمائة منصّر منتشر فقط بالشرق الأوسط معظمهم يديرون مراكز طبية[٢١].

وعدد المؤسسات التي تشتغل في التنصير كثيرة مختلفة كالنوادي الاجتماعية مثل الدوتالي واليونز التي يوجد منه ست وأربعون نادياً في الوطن العربي[٢٢].

ويوجد في إندونيسيا فقط أكثر من: اثني عشر ألف كنيسة ومؤسسة تنصيرية يعمل بها ستة آلاف قسيس وأكثر من عشرين ألف منصّر متفرقين.

بالإضافة إلى مائة وعشرين منظمة إنجيلية وأربعين منظمة أوروبية تقوم بأعمال التنصير ويبلغ إنفاقها مائة مليون دولار سنوياً[٢٣].

الإنجيل واللغات الحية

ولقد نقلت بعض المجلات اللبنانية التقرير التالي:

إن المسيحيين ترجموا الإنجيل إلى ألف لغة ونشروها في جميع أنحاء العالم، وقد صرفت في إحدى الدول الغربية في عام واحد مائة مليار دولار للإعلام بمختلف أنواعه.

---

(٢١) مجلة (الدعوة) السعودية.

(٢٢) مجلة (الصلاح) الإماراتية.

(٢٣) جريدة (الرأي العام) الكويتية.

بينما المسلمون لم يترجموا القرآن إلى أكثر من أربعمائة لغة فقط، مع أن عدد المسلمين اليوم ملياران وعدد المسيحيين اليوم هو أقل من ذلك رغم مبالغتهم في بيان عددهم، ولكنهم وزعوا أكثر من ملياري إنجيل في عام (١٩٩٨م) وبمختلف اللغات[٢٤].

وقد ذكرت إحدى المجلات العربية ما يلي:

إنه بلغ عدد الكتب التي ألّفت لأغراض التنصير اثنين وعشرين ألف كتاباً.

ويصدّر المنصّرون ألفين ومائتين وسبعين مجلة ونشرة تنصيرية.

ويجري توظيف مائة وتسعين محطة بث إذاعي وتلفزيوني لتبليغ دين المسيح عليه السلام على اصطلاحهم.

ما كتب حول غاندي

لقد كتبوا حول غاندي[٢٥] . الزعيم الهندي . إضافة إلى الكتب المتفرقة، موسوعة في ثلاثمائة مجلد[٢٦] فهل كتبنا نحن المسلمين عن سيرة نبينا رسول الإسلام محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله أو عن حياة وصيه وابن عمه بطل الإسلام الخالد علي بن أبي طالب عليه السلام موسوعة تضم ثلاثمائة مجلد؟

وقد كتب حول (إقبال اللاهوري)[٢٧] خمسة آلاف كتاب ومقال بمختلف اللغات[٢٨].

وقد تم ترجمة كتاب مؤسس الصين الشيوعية وزعيم الحزب الأحمر في الصين (ماوتسي

---

(٢٤) جريدة (الرأي العام) الكويتية.

(٢٥) مهاتما غاندي (١٨٦٩-١٩٤٨م): زعيم سياسي وروحي هندي، لقب بالمهاتما أي النفس الكبيرة، نادى باللاعنف والمقاومة السلبية، عمل على تحرير الهند من نير الاستعمار البريطاني فدعي (مهندس الاستقلال الهندي) دعا إلى إزالة الحواجز بين الطبقات الاجتماعية والى الوحدة بين الهندوس والمسلمين والسيخ، قتله هندوسي متعصب، أشهر آثاره سيرته الذاتية التي دعاها (قصة تجاربي مع الحقيقة) عام ١٩٢٧.

(٢٦) مجلة دعوة الحق المغربية.

(٢٧) إقبال (١٨٧٥- ١٩٣٨م) شاعر وفيلسوف مسلم، نظم باللغة الفارسية والأوردية، وكان أول من دعا إلى إنشاء دولة باكستان، أشهر آثاره الشعرية قصيدة طويلة عنوانها (أسراري خودي) أي أسرار النفس عام ١٨١٥م وأهم آثاره الفلسفية (إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام) عام ١٩٣٤.

(٢٨) مجلة العربي الكويتية.

تونغ)[٢٩] الذي يشرح فيه أسس الشيوعية؛ بمائة لغة من اللغات المعروفة في الدنيا.

وإن هناك مؤلفة مسيحية تدعى (آغاثا كريستي)[٣٠] قد ألفت ـ على ما قالوا ـ مائة وأربعة عشر كتابا ترجمت إلى مائة وثلاث لغات، وقد طبع منها أكثر من ملياري نسخة وكان من مجموع هذا المقدار ستمائة وخمسة ملايين كتاب باللغة الإنجليزية فقط.

الطبع والنشر

نعم انه ينبغي لنا كرجال دين الاهتمام بالتأليف والإكثار من الكتب، والإسراع في الطبع والنشر، والتوزيع والتعميم، فقد قال سبحانه: ﴿كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك﴾[٣١].

وقد قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا»[٣٢].

علماً بأن الغزو الثقافي والفكري هو أسرع نفوذاً وأمض ألماً وأسرع نفوذاً في الشعوب من الغزو العسكري والسياسي.

لكن علينا نحن رجال الدين أن لا نيأس من قلة إمكاناتنا، وكثرة إمكانات غيرنا من المسيحيين وغيرهم، وان لا يكون ذلك سبباً لتوقفنا أو تباطئنا عن التأليف والتصنيف، وعن الطبع والنشر، وذلك لأن الله تعالى وعدنا العلو والتقدم على غيرنا بقوله: ﴿ولاتهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون﴾[٣٣] وقد ذكر المفسرون: انه كان في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله أزمة حادة في العلم والثقافة، وكانت نسبة الأمية نسبة عالية بحيث لم يكن في مكة من يستطيع الكتابة والقراءة إلا عشرة أشخاص فقط، بينما نشاهد أن الرسول صلى الله عليه وآله قال تشجيعاً للعلم والعلماء وكشفاً للحقيقة والواقع: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: ولد صالح يدعو له، وصدقة

---

(٢٩) ماو (١٨٩٣-١٩٧٦م) زعيم ومنظر سياسي صيني، نظم قوات حرب العصابات الشيوعية الصينية، انتصر على قوات شيانغ كاي شيك وأسس جمهورية الصين الشعبية عام ١٩٤٩ وكان زعيماً للحزب الشيوعي الصيني.

(٣٠) آغاثا كريستي (١٨٩١ – ١٩٧٦م) روائية انكليزية، وضعت عدداً من الروايات البوليسية مسندة بطولتها إلى مفوض شرطة بلجيكي عدته هركول بوارو، وإلى عانس دعتها الآنسة جين ماربل، بيع من آثارها مئات الملايين من النسخ، من أشهر هذه الآثار، رواية (مصرع روجر آكرويد) عام ١٩٢٦.

(٣١) سورة الإسراء: ٢٠.

(٣٢) نهج البلاغة، الخطب: ٢٧ ومن خطبه له عليه السلام وقد قالها يستنهض بها الناس حين ورد خبر غزو الأنبار.

(٣٣) سورة آل عمران: ١٣٩.

جارية، وعلم ينتفع به»[٣٤].

وقد اقبل المسلمون على ما كشفه لهم نبيهم ﷺ من حقيقة العلم وواقعه إقبالاً حسناً، حتى قبضوا بناصية العلم وصاروا بسببه سادة العالم، بينما ترك المسلمون اليوم العلم والعمل فتأخروا وأخذ بهما الآخرون فتقدموا، فقد بلغ حسب التقارير الرسمية عدد محطات الإذاعة والتلفزيون الموجّهة من المؤسسات المسيحية إلى العالم: ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعين محطة[٣٥].

وقالوا: إن أوروبا وحدها وفي خلال السنوات العشر المقبلة يكون بإمكانها استقبال ثلاثة آلاف وخمسمائة قناة فضائية[٣٦].

ومن الواضح: أن كلها تدعو إلى الفكر الغربي المسيحي، والى الحضارة الغربية المسيحية.

كما انه من الواضح أيضاً ما لهذه الإذاعات والتلفزيونات والصحف وما أشبه ذلك من التأثير الكبير في العالم، وهكذا الارتباطات وسرعة الاتصالات، فان لها أثراً بالغاً في إيصال المعلومات إلى أقصى العالم وأدناه، وها هو عندي الآن مجلتان مسيحيتان إحداهما تطبع منها ثمانية عشر مليون نسخة في كل شهر، والثانية تطبع منها أربعين مليون نسخة في كل شهر وذلك بلغات مختلفة، فهل عندنا نحن المسلمين مجلات كهذه؟

هذا وقد كان علماؤنا الأعلام (قدس الله أسرارهم) يهتمون بالكتابة والتأليف كثيراً وهذه آثارهم بين أيدينا[٣٧].

مع صاحب الجواهر رحمه الله

كان صاحب الجواهر رحمه الله قد عهد على نفسه أن يكتب في كل ليلة مقداراً من كتاب الجواهر، وفي ذات ليلة مات ولد له، قالوا: فأخذ القلم والقرطاس، وهو باك العين محترق القلب، فجاء وجلس عند جثمان ولده وأخذ يكتب وفاءً بعهده.

وهكذا استطاع صاحب الجواهر بصبره وتجلده وثباته واستقامته أن يخلد كتاب الجواهر

---

(٣٤) غوالي اللآلي: ج١ ص٩٨ ف٦ ح١٠.

(٣٥) الرأي العام.

(٣٦) جريدة البيان الإماراتية.

(٣٧) راجع كتاب (الذريعة إلى تصانيف الشيعة)، للعلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني.

للحوزات الدينية والمجامع العلمية.

مع المحدث القمي رحمه الله

يذكر في أحوال المحدث القمي الشيخ عباس رحمه الله صاحب كتاب (مفاتيح الجنان) أنه سافر مع جماعة من التجار إلى سوريا، فكان رحمه الله منكباً على التأليف والمطالعة باستثناء وقت الصلاة والزيارة، وحين كان رفقته يخرجون للتنزه يصرون عليه بالخروج معهم، إلا انه كان يأبى ذلك. وكان رحمه الله يسهر الليل، وهو يطالع ويؤلف.

في سوق الصفارين

لنرجع إلى ما ذكرناه سابقاً من أهمية الكتاب والتأليف فنقول: كان في الكاظمية المشرفة سوق يسمى: (سوق الصفارين) وكان يسمى سابقاً: (سوق الرياحين) وهذا الاسم هو بمناسبة تاريخية معروفة، ترجع إلى زمان الإمام موسى بن جعفر عليه السلام حيث أنه لما سمه هارون العباسي وقضى عليه السلام في السجن مسموماً، حمل جثمانه إلى خارج السجن وبعد تجهيزه شيع أهل بغداد جثمانه الطاهر ومرّوا به في هذا السوق فنثر أهل السوق هنا الورود والرياحين عليه، فسمّي بسوق الرياحين، وأما تسميته في هذا اليوم بسوق الصفارين فهو لأن الصفارين يعملون فيه، فعرف بهذا الاسم.

وكيف كان: فانه كان هناك قس مسيحي يأتي كل أسبوع إلى هذا السوق فيمر به من أوله إلى آخره ومعه حمال يدفع عربة مملوءة من الكتب التي تدعو إلى المسيحية وتبشر بها، فكان ذلك القس يوزّع تلك الكتب على أفراد هذا السوق وغالب أهل هذا السوق كانوا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون، فكانوا يأخذون منه الكتب، ولكن بمجرد ذهاب القس من السوق كانوا يلقون الكتب في النار ويحرقونها.

وكان هذا القس مستمراً على عمله هذا في كل أسبوع، وفي يوم من الأيام لحقه أحد الصفارين وقال له: انك عندما تعطي الكتب لهؤلاء الصفارين، فانهم بمجرد خروجك من السوق يلقونها في النار ويحرقونها، فتبسم القس وقال: إني أعلم هذا ولكن آمل أن يذهب أحدهم بواحد من هذه الكتب إلى داره وله ابن أو بنت فيقرؤون الكتاب، فيميلون بذلك إلى المسيحية وهذا الأمل يكفيني في بذل هذه الكتب علماً بأن الكتب ليست لي وإنما هي

لمؤسسة خيرية مسيحية تقوم بطبع الكتب ونشرها.

وهكذا عمل المسيحيون وعملوا حتى سيطر الاستعمار على العراق، وسخروا العراق الحرّ لمثل عفلق البعث وقزمه صدام المعروف بإجرامه وبطشه وفتكه، وإنه فاق حتى الحجاج ومن شاكله، إذ لم يكن الحجاج بهذه البشاعة من البطش والفتك وانتهاك الأعراض وسلب الأموال، وقد ذكر بعض المطّلعين: أن صدام بنى لنفسه مائة قصر كل قصر يتراوح بين مليار ومليارين إلى ثلاثة مليارات، وقد بنى أخيراً قصراً طوله سبعين كليومتراً[٣٨]، بينما يعاني الشعب العراقي الذي يزيد عددهم على عشرين مليون نسمة من الفقر والجوع، وقلة المياه وعسر المعيشة، وذلك من جراء الحصار الاقتصادي المفروض على العراق.

(٣٨) قصر جديد لصدام في بغداد كلف ٤٥ مليون دولار، انظر مجلة (المجلة: العدد٩٤٤ بتاريخ ١٥ مارس ١٩٩٨م). وقد ذكرت بعض الجرائد أن كلفة بناء مسجد صدام في بغداد هي أربع مليارات دولار ١٩٩٨م.

من أنشطة الوهابيين

نقل لي أحد الأصدقاء الذين توفقوا للحج وتشرفوا إلى زيارة بيت الله الحرام قبل سنوات القصة التالية قائلاً: لقد التقيت بعضو من أعضاء إدارة توزيع الكتب في المدينة المنورة وطلبت منه شيئاً من الكتب.

فقال لي: أظنك رجل دين؟

قلت: نعم.

قال: اذهب إلى المخزن وخذ ما شئت من الكتب.

قال: فذهبت إلى المخزن وإذا بي أرى بناية ضخمة، ومكاناً واسعاً جداً وهو يشتمل على ردهات وصالات مملوءة من أرضها إلى سقفها بالكتب المتنوعة وباللغات المختلفة من العربية والفارسية والتركية والهندية والاندنوسية وغيرها.

قال: فأخذت جملة من تلك الكتب وبقدر ما يمكنني حمله وخرجت، ثم جئت بها إلى قم وقد قدرت سعرها بالعملة المحلية في ذلك الوقت فكانت ما يقارب من عشرين أو ثلاثين ألف تومان.

أقول: لقد رأيت أنا بعض تلك الكتب وطالعتها، فوجدتها تدعو إلى الوهابية وتزرع الفرقة بين المسلمين، وتؤلّب بعض المسلمين ضد بعض، يعني: على خلاف ما أمر الله به وبلغ له رسوله صلى الله عليه وآله من قوله تعالى: ﴿وان هذه أمتكم أمة واحدة﴾[٣٩] وقوله سبحانه: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[٤٠].

نعم هكذا راحت المسيحية تنشر فكرها ومسيحيتها، والوهابية تبث سمومها وتفرقتها، كما راحت اليهودية تنشر الفساد والمبادئ المادية بمختلف صورها، وقد ذكرت بعض الإذاعات في عام ١٩٩٨م خبر تشكيل مؤتمر لنشر الحضارة الجنسية في أوروبا وأمريكا واليابان وأضافت قائلة: بانه كان هناك يهودي قد اشترك في هذا المؤتمر وله ستون مركزا

---

(٣٩) سورة المؤمنون: ٥٢.

(٤٠) سورة آل عمران: ١٠٣.

للفساد في هذه البلاد.

هذا ولا يخفى: أن ما ذكرناه هو بعض ما أطلعنا عليه وبعض ما دأب عليه المسيحيون واليهود والوهابيون من نشاطات فكرية وثقافية وبث ونشر، مع ان ما عندهم لا يضاهي ما عند المسلمين من ثقافة وفكر، إذ في القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وآله وسيرة أهل البيت عليهم السلام ما يسعد حياة البشر، ويرغد عيشه، ويحقق أمانيه وآماله، فينبغي لرجال الدين الاهتمام بالتأليف والتصنيف، والبث والنشر، وإيصال ثقافة الإسلام الراقية، وفكره المنطقي الصحيح إلى كل العالم، ﴿لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾[٤١].

(٤١) سورة الطلاق: ١.

٢

المنبر

كل رجل دين يحتاج مضافاً للتصنيف والتأليف إلى التضلع في فن الخطابة وارتقاء المنبر الحسيني الشريف، وتوجيه الناس بما يصلح دينهم ودنياهم مما استفاده من الكتاب، وسنة الرسول ﷺ وسيرة العترة الطاهرة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وتذكير الناس بما يوافق القرآن والعترة، وتحذيرهم عما يخالفهما من الأحداث والأمور المشتبهة. هذا وقد ذكرت في كتاب سميته باسم (تجاربي في المنبر) بعض الأمور التي يمكن لخطيب المنبر الحسيني أن يستفيد منها إن شاء الله تعالى.

وكيف كان: فانه لا شك في تأثير المنبر الحسيني في نفوس الناس تأثيراً بليغاً وقد ذكروا أن المبشرين المسيحيين الذين يرتبطون بالبابا القاطن في الفاتيكان يتجاوز عددهم عن خمسة ملايين فرد، ولكن نحن على قلتنا إذا عملنا عملاً كما ينبغي كان الانتصار للحق وذلك من باب قوله سبحانه: ﴿كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله﴾[٤٢].

المجالس الحسينية وبركاتها

نقل لي أحد علماء إيران ويدعى: السيد أحمد الروحاني قصة تحكي عن بعض ما للمنبر الحسيني من تأثير في النفوس، والقصة كالتالي:

قال: جئنا في أيام البهلوي الأول من طهران إلى قم المقدسة ونحن أربعة من الخطباء وكنا شباباً والسائق كان أيضاً شاباً، فأخذ بعض أصدقائي يتمازح مع السائق ويلاطفه بما لم يكن مناسباً لاحترام السائق، ودام المزاح طوال الطريق حتى وصلنا إلى قم، ولما نزلنا جميعاً من السيارة التفت إلى السائق وقلت له معتذراً: أرجو أن لا يبقى في خاطرك شيء من المزاح

(٤٢) سورة البقرة: ٢٤٩.

والملاطفة التي جرت بيننا وبينك في الطريق كما أرجو عفوك وأنت مأجور إن شاء الله تعالى.

فأجابني بكل طلاقة ورحابة: لا يهمكم ذلك أبداً، فان لرجال الدين وخطباء المنبر الحسيني عليّ فضلاً كبيراً، إذ كان أحدهم هو السبب في هدايتي.

قلت: وكيف كان أحدهم السبب في هدايتك.

قال: إني كنت مطرباً مغنياً، وعملي غالباً مع الشباب والشابات، وفي مجالس اللهو والطرب ومجالس الخمر والفجور، وكانت هذه عادتي ودأبي، فكنت على إثرها أنتقل من مجلس إلى آخر ومن مخمر إلى ملهى، مع لعبي القمار وشربي الخمر.

وفي ذات يوم وأنا في طريقي إلى البيت رأيت باب دار مفتوحة قد فتحت على مصراعيها وأناس جالسون داخل الدار، فسألت عنهم وعن مجلسهم؟

فقالوا: هذا مجلس الإمام الحسين عليه السلام.

قلت: وما معنى ذلك، فإني كنت أجنبياً عن هكذا مجالس، إذ ما جلست ولا ذهبت يوماً من الأيام في مجلس الإمام الحسين عليه السلام.

قالوا في جوابي: إن هذه الأيام هي أيام العشرة الأولى من المحرم، ومن المتعارف عندنا نحن الشيعة أن نقيم العزاء على الإمام الحسين عليه السلام في هذه العشرة.

قال: فدخلت حتى أرى ما هو مجلس الإمام الحسين عليه السلام وما هو كيفيته، فإذا بي أرى أحد رجال الدين فوق المنبر وهو يخطب على الناس، ويتكلم لهم عن وقائع اليوم التاسع من المحرم، والذي يعرف بيوم: تاسوعاء، ويختص بأبي الفضل العباس عليه السلام، فأخذ الخطيب يقرأ مقتل العباس عليه السلام حتى وصل في قراءته إلى قول أبي الفضل العباس عليه السلام عندما قطع الأعداء غيلة وغدراً يده اليمنى مرتجزاً:

والله إن قطعتم يميني

إني أحامي أبداً عن ديني

وعن إمام صادق اليقين

نجل النبي الطاهر الأمين

قال: ولما فسّر الخطيب معنى البيتين تألمت كثيراً وبكيت بكاءً شديداً، وقلت في نفسي: هل العباس عليه السلام وهو ابن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام وأخو الإمام الحسين عليه السلام وبتلك المنزلة

الرفيعة كما حدثنا بذلك هذا الخطيب، يفدي نفسه لأجل الدين ولأجل إمامه الإمام الحسين عليه السلام وأنا شاب مسلم أصرف وقتي في اللهو واللعب، والحرام والفساد، ثم خرجت من مجلس الإمام الحسين عليه السلام واتجهت نحو البيت، ولكن بقلب منكسر، وضمير متألم، وقبل أن أذهب إلى البيت، قصدت بيت عالم كان بجوارنا، وسألته عن التوبة، وعن أنه إذا تبت هل يتوب الله عليّ؟

فقال: نعم، وحبب إليّ التوبة وقال: إن الله يتوب على من تاب إليه.

فقلت له: ماذا أفعل؟ وكيف أتوب؟

قال: اذهب إلى الحمام واغتسل غسل التوبة والبس ثياباً طاهرة وغير مغصوبة، وقل: استغفر الله وأتوب إليه، وأقم الصلاة واجتنب هذه الأعمال جميعاً، ولا تقربها أبداً.

قال: ففعلت كل ما علمني ذلك العالم من عمل، وأخذت اصلي وأصوم واستغفر الله وكان لي أصدقاء منغمسون في هذه الأعمال فرأيت أني لو بقيت في ذلك الحي لالتفوا حولي وأبطلوا عزمي وأرجعوني إلى حالتي السابقة، لذلك غيّرت مسكني إلى منطقة أخرى وكذلك غيّرت شغلي إلى سائق سيارة أقتنع بما يعطيني الله ويرزقني من فضله حتى جمعت قليلاً من المال وتزوجت وكونت لنفسي أسرة وبيتاً منذ ذلك اليوم وأقبلت على عبادة الله والاستغفار، والصلاة والصيام وأنا سعيد بحياتي هذه، وأشعر براحة ورغد، حامداً وشاكراً لله تعالى على أن هداني ولهذه الجهة إني أحترم الخطباء لأن أحدهم صار سبباً لهدايتي.

أقول: إني قد التقيت شخصياً بكثير من الشباب في الأيام التي كنت في العراق، وكذلك في الكويت وفي إيران وكلهم رجعوا إلى الله سبحانه بعد انصرافهم عنه وذلك عندما اشتركوا في المجالس الحسينية، وسمعوا من الخطباء المواعظ والإرشادات، فلذا ينبغي لرجل الدين مهما كان أن يكون خطيباً يرشد الناس إلى الدنيا الصحيحة والسعيدة، والى الآخرة المرضية والحميدة.

الشيخ الأنصاري رحمه الله والمنبر الحسيني

يقال عن الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله رئيس الحوزة العلمية وزعيمها من يومه إلى هذا اليوم: انه كان يذهب في بعض الأيام إلى منبر الشيخ جعفر التستري رحمه الله المعروف، ويشترك

في المجلس الحسيني هو مع طلابه ويقول لهم: لنذهب إلى مجلس الإمام الحسين عليه السلام ولنستمع إلى منبر الشيخ التستري فانه يلين قلوبنا ويوجهنا إلى الآخرة، فما أحوجنا إلى استماع الموعظة، فقد مالت قلوبنا إلى القسوة وران عليها.

فإذا كان الشيخ مرتضى الأنصاري رحمه الله على زهده وتقواه، وإيمانه وورعه، محتاجاً إلى المشاركة في مجلس الإمام الحسين عليه السلام والى استماع الوعظ والإرشاد من أهل المنبر، فهل لا يحتاج أحدنا إلى مثل ذلك؟.

من بركات المنبر والمجالس الحسينية

هناك قصة نقلها لي قبل أربعين سنة تقريباً واحد من أصدقائنا المؤمنين، وكان من تجار أفريقيا والقصة كالتالي:

قال: كنت أذهب كل عام في عشرة محرم إلى قرية من قرى أفريقيا للإرشاد والهداية ولإلقاء المواعظ والنصائح، ولإقامة مجلس التعزية على الإمام الحسين عليه السلام.

قال: فذهبت ذات مرة إلى احدى القرى وسألت عن بعض من التقيت به من أهلها وقلت: هل عندكم هنا قارئ يقرأ لكم التعزية على الإمام الحسين عليه السلام؟

فقال: لا.

فقلت: هل تحبون أن أقرأ لكم ذلك، علماً بأني لا أبتغي على ما أقرا أجراً وإنما أفعل ذلك لمجرد الثواب.

قال: نعم.

فدخلت القرية، وكان اليوم الأول من المحرم وانتظرت الظهر لأصلي بهم جماعة، فما سمعت صوت الآذان ولم تكن عندي ساعة حتى أعرف الوقت، ولذلك سألت أحدهم وقلت: لماذا لم أسمع الآذان عندكم؟

قال بتعجب: وما هو الآذان؟

قلت: أذان الصلاة في وقت الظهر.

قال بتعجب أكثر: وما هي صلاة الظهر؟

قلت مستغرباً من جوابه: أليس عندكم مسجد؟

قال وبتعجب متزايد: وما هو المسجد؟

وعندها رجعت إلى نفسي وقلت: لعلهم لم يكونوا مسلمين، ولما تحققت عنهم تبين لي أن أهل القرية وثنيين وليسوا بمسلمين.

وبعد ارتقاء المنبر وكان المجلس غاصاً بأهله قلت لهم: إن الإمام الحسين عليه السلام جاء إلى هذه القرية حيث إنكم من عادتكم إقامة المجالس على الإمام الحسين عليه السلام في كل سنة في العشرة الأولى من المحرم؛ لكن إله الإمام الحسين وجد الإمام الحسين وأبا الإمام الحسين ودين الإمام الحسين وقرآن الإمام الحسين لم يأتوا إلى هذه القرية، وها نحن الآن نجعل الإمام الحسين واسطة بأن يأتي بهؤلاء إلينا.

ثم إني شرحت لهم الدين الإسلامي، وتحدثت لهم عن الله سبحانه وتعالى، وعن يوم القيامة وعن أحوال نبي الإسلام وأهل بيته المعصومين عليهم السلام واستمررت معهم على ذلك طيلة الأيام العشرة من المحرم، حتى عرف أهل القرية الإسلام جيداً، واشتاقوا إلى أن يسلموا، فعلمتهم الشهادتين، فقالوها جميعاً ودخلوا في الإسلام، وأصبحوا مسلمين ببركة الإمام الحسين عليه السلام وهكذا حال المنبر الحسيني وحال المجالس الحسينية إذا أستفيد منها استفادة مطلوبة وجيدة.

الظلامة سلاح ماضٍ

نقل لي أحد العلماء الكبار الموجود في كراجي حين التقيت به في كربلاء المقدسة وكان قد جاء لزيارة الإمام الحسين عليه السلام القصة التالية:

قال: التقيت في كراجي قساً مسيحياً كبيراً في السن، طاعناً في العمر، له تجربة في مجال التبشير والعمل التنصيري، فجرى بيني وبينه كلام حول التبليغ وعوامله ومحفزاته، فقال وبكل صراحة: انكم أيها المسلمون تملكون أرصدة قوية للتبليغ، فإنا لو غضضنا النظر عن نبيكم وعن إمامكم أمير المؤمنين وعن سائر أئمتكم، ولم يكن لنا إلاّ الإمام الحسين المظلوم، لاستطعنا أن نهدي باسمه جميع الناس وان نجعل كل العالم تحت لوائه، لكنكم لا تعرفون الاستفادة من هذه الموهبة الإلهية العظيمة.

ثم أضاف قائلاً: إن مثلنا نحن المسيحيين ومثلكم أنتم المسلمون كمثل بقالين اثنين

متجاورين على النحو التالي:

أحدهما: له فواكه كثيرة وجيدة ولكنه لا يعتني بها، فيجعلها مبعثرة على الأرض، تداس بالأرجل، ويغطيها التراب ولا يرغب فيها أحد، وهذا مثلكم أنتم أيها المسلمون.

والثاني: لا يملك إلا صندوقاً واحداً من العنب، ولكنه اعتنى به وجعله فوق الرف، وزيّنه بالأوراق المزينة، وجعل فوقه الورود، وسلط عليه الضوء القوي، فيرغب فيه كل راغب، ويميل إليه كل من يراه وهذا مثلنا نحن المسيحيين.

ثم واصل كلامه قائلاً: ان عيسى المسيح مع ما للمسيحيين من الشك في قتله واستشهاده، اختلقوا له ظلامة خيالية، وجعلوه ضحية للدين، وصوروه في كل مكان، وبنوا حوله الكنائس ودعوا إلى الإيمان به كل العالم.

لكنكم أنتم المسلمون لا تهتمون بالنبي ولا بأمير المؤمنين ولا بالأئمة عليهم السلام الاهتمام الذي ينبغي ويستحق لهم، وخاصة الإمام الحسين عليه السلام الذي قُتِلَ وأهل بيته تلك القتلة الفظيعة، وصار رمزاً للإباء، ومثالاً للشهادة والتضحية من أجل الله والدين، والأخلاق والإنسانية، وقدوة لكل الأحرار والأبرار، وأسوة لجميع المظلومين والمستضعفين، مما يصلح أن يهيج العواطف، ويثير المشاعر، فيستهوي النفوس، ويستقطب الجماهير، ويسخر القلوب للإيمان بالإمام الحسين عليه السلام وبدينه وأهدافه.

بلاغة الخطيب والخطابة

ثم ان هناك قصصاً كثيرة حول المنبر وفي مجال المجالس الحسينية، مما تؤكد على الخطيب أن يعتني بخطبه، وذلك بأن يصحح لفظه ويوضح معناه حتى يكون خطابه فصيحاً بليغاً، جاذباً للقلوب، وملفتاً للأنظار، ومستهوياً للنفوس، كي يتمكن الخطيب الحسيني من التأثير وبلوغ الهدف المنشود من الهداية والإرشاد.

نعم إن للإلقاء، وطريقة البيان، التأثير الكبير في نفوس السامعين، حتى قيل: إن أحد الملوك والرؤساء رأى في المنام انه قد سقطت كل أسنانه، فلما قام من النوم طلب أحد المعبّرين للرؤيا وأراد منه أن يعبر له رؤياه، وعندما حضر المعبر ذكر له الملك منامه واستفسر منه تأويله.

فقال المعبّر: معناه أن أقربائك سيموتون عن قرب.

فانزعج الملك من هذا التعبير وأمر جلاده بأن يضرب المعبر خمسين سوطاً.

ثم أنه طلب معبراً ثانياً وكان هذا المعبر الثاني بليغاً يعرف كيف يتكلم وكيف يلقي خطابه إلى السامع، لذلك لما قص عليه الملك رؤياه قال له: أطال الله عمر الملك، معناه: أن عمرك يكون أطول من أعمار أقربائك.

فسر الملك من تعبيره وأمر خازنه بأن يعطيه خمسين ألفاً.

هذا ومن المعلوم: ان التعبيرين يعنيان شيئاً واحداً، لكن الثاني عرف كيف يصوغ التعبير بصورة لا تجرح عاطفة الملك، بينما الأول لم يعرف كيف يصوغه ولذلك انزعج الملك منه واشمأزت نفسه لتعبيره، وهكذا الخطيب فانه بإمكانه استخدام الألفاظ الجميلة وتأطيرها في إطار بليغ بحيث يؤثر في كل من يستمع إليه، وقد تكون ألفاظه وطريقته بصورة تنفّر كل من يستمع إليه ولا يستفاد منه أحد وفي القرآن الحكيم: ﴿وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾[٤٣].

(٤٣) سورة ص: ٢٠.

٣

التدريس

من المقومات الأخرى لرجل الدين: التدريس، وذلك بعد أن استوعب الدرس جيداً، فان التدريس بعد ذلك يوجب بالإضافة إلى تركيز الدرس وترسيخ المعلومات، إفاضتها ونقلها للآخرين فإن زكاة العلم نشره.

وقد اشتهر بين العلماء: أنه يلزم على رجل الدين وطالب العلم أن يجعل الدرس عذراً لسائر الأشياء لا أن يجعل سائر الأشياء عذراً للدرس، بمعنى: انه لو سئل لماذا لم تحضر المجلس الفلاني، أو الضيافة الفلانية، أو السفر الكذائي؟ فيقول: لأنه كان لي درس.

لا أن يذهب إلى السفر الفلاني، والضيافة الفلانية، أو المجلس الفلاني، فإذا قيل له: لماذا لم تأت إلى الدرس؟ يقول: لأني كنت مشغولاً بكذا وكذا.

فمن يجعل الأشياء عذراً للدرس لا يتقدم، وإنما التقدم نصيب من يجعل الدرس عذراً للأشياء، وهذا كما يصح بالنسبة إلى الطالب، يصح بالنسبة إلى المدرّس أيضاً، بل صحته بالنسبة إلى المدرس أقوى، لأنه يعطل نفسه ويعطل تلاميذه، بينما يعطل الأول نفسه فقط، ويكون المتضرر هو بنفسه لا بنفسه وتلامذته.

صاحب الجواهر واهتمامه بالتدريس

لقد ذكروا في أحوال صاحب الجواهر ﵀: انه ذهب لإلقاء الدرس إلى تلاميذه في يوم من أيام الشتاء، وكان يوماً شديد المطر ولم يحضر من الطلاب إلا القليل منهم.

فقيل له: كيف حضرت الدرس مع ما عليه اليوم من شدة المطر وعدم إمكان السير؟

فقال: لقد استأجرت حمالاً فحملني في الزقاق الذي فيه داري لأنه كان قد امتلأ بماء المطر حتى صار كأنه الحوض، وذلك لئلا يتعطل الدرس ولا يُحرم منه من حضر من الطلاب.

من كلام الميرزا الكبير

وينقل عن الميرزا الكبير المجدد الشيرازي (قدس سره) انه كان يقول: إذا لم يحضر إمام الجماعة إلى الصلاة، فعلى المأمومين أن يذهبوا إلى تشيعه، وإذا لم يحضر المدرس إلى الدرس، فعلى التلاميذ أن يذهبوا إلى عيادته، كناية على لزوم حضور الإمام إلى الصلاة حتى في اشق أحواله، ماخلا الموت، وحضور المدرس إلى الدرس ما خلا المرض.

الآغا حسين القمي ﷺ

وكان المرجع الديني المعروف الحاج آغا حسين القمي (قدس سره) من دأبه أنه إذا سافر إلى مكان أصطحب معه أصحاب بحثه الخاص، ليشتغل معهم بالبحث طيلة الطريق والسفر.

وقد شاهدته مراراً كذلك.

وكان يقول: كيف آكل من السهم الشريف، سهم الإمام عليه السلام الذي هو للمشتغل، وأنا عاطل على البحث.

التدريس ومعناه الشمولي

ثم إنه ليس معنى الدرس والتدريس بالنسبة إلى رجال الدين هو: الاشتغال بالفقه والأصول، وعلوم الأدب والمنطق فقط كما عليه المتعارف في حوزاتنا العلمية اليوم، بل يلزم بالإضافة إلى ذلك درس وتدريس سائر العلوم المحتاج إليها من الحساب والهندسة، والتاريخ والجغرافيا، وغير ذلك من العلوم الإسلامية الأخرى.

الطلاب والعالم المعاصر

هذا مضافاً إلى وجوب ربط الأستاذ والطلاب بالعالم المعاصر، والأحداث الجارية على الساحة الإسلامية والعالمية ليكون طلبة العلوم الدينية، ورجال الدين على بصيرة فيما يحتاجون إليه من الإرشاد والتبليغ والهداية والتوجيه، وبدون ذلك فان البلاد الإسلامية تكون عرضة لأطماع كلا من الغرب والشرق وغرضاً لمراميهم، حيث يوحون إلى شياطينهم في

المنطقة بإحداث الانقلابات العسكرية في البلاد الآمنة، الانقلابات التي تسحق الشعوب، وتأتي على الحرث والنسل، وقد حدث كل ذلك في النصف الأخير من القرن الماضي في كل من العراق وإيران ومصر وباكستان وأفغانستان وغيرها من دول المنطقة، وقد ذكرت جملة منها في كتاب مستقل، ولننقل هنا مقطعاً من كتاب (رياح الشمال) كي يعرف القارئ الكريم ماذا يجري خلف الستار، وكيف تعبث الأيدي الغربية بواسطة شياطينها في بلاد الإسلام.

أغراض وأهداف

يقول مؤلف الكتاب المذكور في بعض فصوله: «سعى الرئيس عبد الناصر لإيجاد صيغة تخرجه من اليمن وتحفظ الثورة والجمهورية في الوقت نفسه، فزار جدة لهذا الهدف واجتمع مع الملك فيصل في (٢٤ آب ١٩٦٥م) وتوصل الطرفان إلى (اتفاقية جدة) التي تعهّد فيها عبد الناصر بسحب قواته في مدة أقصاها (٢٣ تشرين الثاني ١٩٦٦م) بينما تعهّد الملك فيصل في المقابل بإيقاف المساعدة إلى الملكيين.

وما إن تم التوصل إلى هذا الاتفاق حتى حدث نزاع خطير انعكس على مستقبل التطورات في المنطقة، فانه بعد «اتفاق عبد الناصر، فيصل في جدة» أعلنت بريطانيا في (شباط ١٩٦٦م) عن عزمها على الانسحاب من شرق السويس، أي: من عدن واليمن الجنوبية ودول الخليج العربي قبل العام ١٩٧٠، ووجد عبد الناصر أن في ذلك فرصة له ليملأ الفراغ الناتج من الانسحاب البريطاني مما يوفر له بسط نفوذه في الجزيرة العربية، فأعلن أنه سيبقى في اليمن خلافاً لاتفاق جدة.

والتداعي الآخر الأهم جاء في حرب (٦ حزيران ١٩٦٧م) عندما شنّت إسرائيل هجومها إثر إغلاق مصر مضيق تيران[٤٤] في وجه الملاحة الإسرائيلية، وسحب القوات الدولية التي كانت تفصل بين مصر وإسرائيل في سيناء، وحدثت الهزيمة التاريخية في ستة أيام والقوات المصرية مازالت في اليمن.

وجاء التداعي السياسي الأخطر عندما تم عقد القمة العربية في الخرطوم في (آب

(٤٤) مضيق تيران: مضيق يصل البحر الأحمر بخليج العقبة، يقع بين المملكة العربية السعودية والطرف الجنوب الشرقي من شبه جزيرة سيناء، وهو منسوب إلى جزيرة تيران الواقعة عند الطرف الشمالي عند البحر الأحمر.

١٩٦٧م) أي بعد ثلاثة أشهر من الحرب، فأصدر الزعماء العرب اللاءات الثلاثة الشهيرة: لا اعتراف، لا مفاوضات، لا صلح مع إسرائيل، واجتمع فيصل وعبد الناصر على هامش القمة، فتعهّد عبد الناصر . بفعل الهزيمة العسكرية والحاجة إلى المعونة المالية السعودية . بسحب قواته من اليمن قبل نهاية (١٩٦٧م)، وتعهد فيصل في المقابل بإنهاء المساعدة للملكيين.

وانتصر فيصل على عبد الناصر بعد خمس سنوات بسبب حرب الأيام الستة، ونجح السعوديون في إخراج المصريين من اليمن بفضل إسرائيل.

أما انتصار فيصل فيعود إلى نجاحه في توريط عبد الناصر في حرب اليمن وحصاره هناك عسكرياً وسياسياً، فقد أدى الحصار السعودي العسكري . السياسي لعبد الناصر في اليمن طوال ست سنوات بشكل مباشر إلى هزيمة (١٩٦٧م) وكانت تلك بداية التركيع العربي.

بعدها جاءت لاءات الخرطوم الثلاثة، التي صادرت القرار العربي بالمناورة، وكان للسعودية سياسة داخل المؤتمر أوصلت بدورها إلى تفريغ العمل العربي من مضمونه، هذا التفريغ وانعدام المناورة السياسية أدّيا بدورهما إلى رفض مبادرة روجرز الأميركية، الذي أركع العرب لفترة عشرين سنة أخرى.

وكان سلاح فيصل في محاربة الشيوعية والتصدي للتيارات القومية هو الدين، فمن طريق الإسلام بني استراتيجيته، ومن طريق (التضامن الإسلامي) بنى تكتيكه، وطرح خطة تأسيس (الحلف الإسلامي) التي أيدها شاه إيران بقوة، والتي أرادها فيصل نقيضاً للجامعة العربية، والتي تعاطفت معها واشنطن ولندن، وكانت وسيلته السياسية: المؤتمرات الإسلامية التي حاول من خلالها أن يحتوي المدّ القومي العربي اليساري كعقيدة من طريق عقيدة أخرى هي الإسلام.

وللمرة الأولى في تاريخ الجزيرة العربية أخرج فيصل: الوهابية، وهو مذهب لا يتعايش مع أي مذهب إسلامي آخر، ويكفّر كل مسلم لا يتقبل تعاليمه إلى حيز أوسع من السيرة السعودية نفسها، ساعياً إلى التعاون السياسي خارج أراضي المملكة مع كل المسلمين على اختلاف مذاهبهم، ووفّر إحراق المسجد الأقصى في (آب ١٩٦٩م) الفرصة لفيصل لوضع سياسته موضع التنفيذ، فدعا إلى عقد أول قمة إسلامية في الرباط لبحث مستقبل القدس، ومنها انتقل إلى تأسيس (منظمة العالم الإسلامي) مقرّها جدة خلال اجتماع لوزراء خارجية

الدول الإسلامية في جدة في (آذار ١٩٧٠م).

وفي عام (١٩٧٤م) انعقدت القمة الإسلامية في لاهور التي ضمت ٢٤ دولة، وصالحت بين بنغلادش وباكستان، وأقرّت إنشاء أول بنك إسلامي للتنمية الذي استخدمته السعودية كقناة تدفع من خلالها المساعدات، وقد أصبحت (منظمة العالم الإسلامي) الذراع الأساسي للسياسة السعودية في الدول الإسلامية.

من طريق (منظمة العالم الإسلامي) بدأ فيصل اللعب بالإسلام كسلاح سياسي، من قبل أن يبرز على السطح ما يسمى اليوم: (الأصولية الإسلامية)، وفي ما يشبه بداية ترسيخ دور أصولي إسلامي استدار فيصل إلى باكستان، وبدأ تشجيع الحركات الإسلامية فيها ويضخ الأموال إليها، فوقف وراء انقلاب الجنرال ضياء الحق في العام (١٩٧٥م)، وعمل فيصل على تقوية باكستان عسكرياً، وهي المحسوبة على الولايات المتحدة والغرب على حساب الهند، إحدى أعمدة حركة عدم الانحياز، والمحسوبة على الاتحاد السوفياتي، وساهم في تحويل (القنبلة الإسلامية) والمشروع الثوري الباكستاني في بداياته، ولعبت باكستان في عهد ضياء الحق دوراً كبيراً في تأصيل القوات المسلحة السعودية، فبعثت بالعسكريين والخبراء والطيارين وحتى الحرس الخاص وأصبح المرتزقة الباكستانيين نواطير النظام.

وبدأت الحركات الأصولية الإسلامية بمختلف تفرعاتها وميولها تتواجد في باكستان، حتى وجدت فرصتها الذهبية عندما غزا الاتحاد السوفياتي أفغانستان في العام (١٩٧٩م) فبدأ تنظيمها بخبرات وكالة الاستخبارات الأمريكية المركزية وأموال السعودية، وأطلق عليها اسم: (المجاهدون) وأخذت السعودية تجمع لهؤلاء التبرعات في مدنها وسميت الحرب ضد السوفيات في أفغانستان (حرب الجهاد الإسلامي) وهنا كانت بداية الأصولية التي غذتها السعودية وروّتها أمريكا، وشبّعها الغرب».

أقول: نكتفي هنا بهذا القدر ليعرف منه مصير سائر البلاد الإسلامية، بينما نرى ومنذ أكثر من خمسين سنة ـ أي بعد: الحرب العالمية الثانية ـ أن البلاد الغربية كلها تعيش في أمن وسلام واستقرار واطمئنان، ولا مهازل فيها كما في بلاد الإسلام.

التصدي للبدع والشبهات

ومما يجب على رجل الدين أن يتصدى للبدع والانحرافات والشبهات المثارة من قبل

الأعداء، وذلك بالإجابة عليها بالحكمة والموعظة الحسنة في منبره ودرسه وتأليفاته وما أشبه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه فمن لم يفعل فعليه لعنة الله»(٤٥).

وعن أبي عبد الله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال علي عليه السلام: «إن العالم الكاتم علمه يبعث أنتن أهل القيامة ريحاً تلعنه كل دابة من دواب الأرض الصغار» (٤٦).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كل بدعة ضلالة وكل ضلالة سبيلها إلى النار»(٤٧).

وقال علي عليه السلام: «من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد سعى في هدم الإسلام»(٤٨).

وعن يونس بن عبد الرحمن في حديث قال: روينا عن الصادقين عليهما السلام أنهم قالوا: «إذا ظهرت البدع فعلى العالم أن يظهر علمه فإن لم يفعل سلب نور الإيمان»(٤٩).

عند ما جاء عبد الكريم قاسم

عند ما جاء عبد الكريم قاسم وأخذ بخرق القانون الشرعي والعرفي السائد وفتح ثغرة الانقلابات العسكرية في العراق، أراد أن يلتقي بالسيد الوالد والسيد الحكيم (قدس سرهما) عند زيارته لكربلاء المقدسة والنجف الأشرف، ولكنهما اشترطا عليه مقدمة لزيارته لهما أن يغير ما جاء به من القوانين المخالفة للإسلام، والتي من أهمها إلغاء قانون الاعتراف بالحزب الشيوعي وإلغاء قانون الإصلاح الزراعي المزعوم، وإلغاء قانون الأحوال الشخصية.

لكنه أصر على عدم إجابته لهم وأصروا هم أيضاً على عدم استقباله، فلم يتم اللقاء ولم يمض على الحادث اكثر من ستة اشهر إلا وقد قامت الثورة ضده مما أودى بحكومته وحياته.

التضحية في سبيل الله

وكان يقول السيد الوالد (قدس سره) إبان سيطرة الشيوعيين على العراق واشتغالهم

---

(٤٥) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٦٩ ب٤٠ ح٢١٥٣٨.

(٤٦) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٧٠ ب٤٠ ح٢١٥٣٩.

(٤٧) من لا يحضره الفقيه: ج٣ ص٥٧٢ باب معرفة الكبائر التي أوعد الله عزوجل عليها النار، ح٤٩٥٤.

(٤٨) المحاسن: ج١ ص٢٠٨ ب٦ ح٧٣.

(٤٩) وسائل الشيعة: ج١٦ ص٢٧١ ب٤٠ ح٢١٥٤٦.

بالنهب والهتك وسفك الدماء البريئة: إن الدم البرىء لغم موقوت يتفجر فيدك عروش الظالمين، ويزيل حكمهم وملكهم، وإني أتمنى أن لو كنت أقدر على أن أكف القتل عن الجميع وأكون أنا المقتول على أيديهم مكان من قتلوا، فيحدث قتلي ضجة في الأوساط ويكون ذلك سبباً في زوال سيطرتهم وخلاص الشعب العراقي المسلم من ظلمهم، وكان يحز ذلك في قلبه إلى أن استطاع على عقد الاتفاق مع علماء النجف الأشرف في النهوض ضد الشيوعيين، وقد توفقوا للقضاء عليهم بإذن الله تعالى.

فرح الملائكة بإجابة الشبهة

وفي الحديث انه قد اختصم إلى فاطمة الزهراء عليها السلام امرأتان فتنازعتا في شيء من أمر الدين، إحداهما معاندة والأخرى مؤمنة، ففتحت على المؤمنة حجتها فاستظهرت على المعاندة، ففرحت فرحا شديدا، فقالت فاطمة عليها السلام: «إن فرح الملائكة باستظهارك عليها أشد من فرحك، وإن حزن الشيطان ومردته بحزنها أشد من حزنها، وإن الله تعالى قال لملائكته: أوجبوا لفاطمة بما فتحت على هذه المسكينة الأسيرة من الجنان ألف ألف ضعف مما كنت أعددت لها، واجعلوا هذه سنة في كل من يفتح على أسير مسكين فيغلب معاندا مثل ألف ألف ما كان معدا له من الجنان»(٥٠).

الربح الأكبر

وعن أبي محمد عليه السلام قال: قال الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام وقد حمل إليه رجل هدية فقال له: «أيما أحب إليك أن أرد عليك بدلها عشرين ضعفا يعني عشرين ألف درهم، أو أفتح لك بابا من العلم تقهر فلان الناصبي في قريتك تنقذ به ضعفاء أهل قريتك، إن أحسنت الاختيار جمعت لك الأمرين، وإن أسأت الاختيار خيرتك لتأخذ أيهما شئت»، فقال: يا ابن رسول الله فثوابي في قهري ذلك الناصب واستنقاذي لأولئك الضعفاء من يده قدره عشرون ألف درهم، قال: «بل أكثر من الدنيا عشرين ألف ألف مرة» فقال: يا ابن رسول الله فكيف أختار الأدون بل أختار الأفضل، الكلمة التي أقهر بها عدو الله وأذوده عن

(٥٠) بحار الأنوار: ج٢ ص٨ ب٨ ح١٥.

أولياء الله، فقال الحسن بن علي عليه السلام: «قد أحسنت الاختيار» وعلمه الكلمة وأعطاه عشرين ألف درهم، فذهب فأفحم الرجل فاتصل خبره به، فقال له حين حضر معه: «يا عبد الله ما ربح أحد مثل ربحك ولا اكتسب أحد من الأوداء ما اكتسبت، اكتسبت مودة الله أولا، ومودة محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ثانيا، ومودة الطيبين من آلهما عليهم السلام ثالثا، ومودة ملائكة الله تعالى رابعا، ومودة إخوانك المؤمنين خامسا، واكتسبت بعدد كل مؤمن وكافر ما هو أفضل من الدنيا ألف مرة فهنيئا لك هنيئا»(٥١).

العلماء المرابطون

وقال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «علماء شيعتنا مرابطون بالثغر الذي يلي إبليس وعفاريته يمنعونهم عن الخروج على ضعفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته النواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة، لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم»(٥٢).

(٥١) الاحتجاج: ج١ ص١٨-١٩ فصل في ذكر طرف مما أمر الله في كتابه من الحجاج والجدال بالتي هي أحسن وفضل أهله.

(٥٢) غوالي اللآلي: ج١ ص١٨ فصل٢ ح٥.

٤

المحراب

من المقومات الأخرى لرجل الدين: المحراب وإمامة الجماعة بمعنى: أن يصلي بالناس جماعة، فان رسول الله ﷺ هو أول من صلى جماعة منذ أول الإسلام حيث انه ﷺ كان يصلي مع خديجة عليها السلام خلفه، وعلي بن أبي طالب عليه السلام إلى يمينه في المسجد الحرام رغم انه كان موضع استهزاء الكفار والمشركين.

وذات يوم مر أبو طالب عليه السلام على رسول الله ﷺ فرآه يصلي، وتصلي خلفه خديجة عليها السلام ويصلي إلى جناحه الأيمن ابنه علي عليه السلام فقال أبو طالب لابنه الآخر جعفر: صِل جناح ابن عمك، أي: صلّ خلف رسول الله ﷺ في الجناح الأيسر، فكان هناك رسول الله ﷺ الإمام، ومأمومان في طرفيه علي عليه السلام وجعفر وامرأة خلفه خديجة عليها السلام.

وهكذا ابتدأ رسول الإسلام ﷺ بصلاة الجماعة واستمرت صلاة الجماعة بإمامته ﷺ إلى قرب رحيله ﷺ حيث جاء إلى المسجد وهو مريض واتكأ على وصيه علي عليه السلام وعلى ابن عمه الفضل بن العباس، وصلى بالناس وهو جالس وهذا من اختصاصاته ﷺ وذلك في قصة مشهورة.

مساجد المدينة المنورة

ثم إن النبي ﷺ لما هاجر من مكة إلى المدينة بنى في المدينة المنورة سبع أو ثمان وأربعين مسجداً، وذلك بحسب الأحياء الموجودة في المدينة، أي: لكل حي مسجد أو أكثر.

أقول: إني احتمل بأن أحياء المدينة كانت منفصلة بعضها عن بعض كما يستفاد ذلك من التاريخ، ولذلك بنى رسول الله ﷺ لكل أهل حيٍ مسجداً للصلاة، وهناك رواية منقولة عن أبي عبد الله عليه السلام قد تكون مؤيدة لذلك قال: «هلك رجل على عهد رسول الله ﷺ،

فأتى ﷺ الحفارين، فإذا بهم لم يحفروا شيئاً، وشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فقالوا يا رسول الله: ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما نضرب به في الصفا.

فقال: «ولِمَ ان كان صاحبكم لحسن الخلق؟ ائتوني بقدح من ماء».

فأتوه به، فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشاً ثم قال: «احفروا».

قال: فحفر الحفارون فكأنما كان رملاً يتهايل عليهم(٥٣).

فصلابة الأرض وصيرورتها رخوة وهشة ببركة النبي ﷺ ربما تعبّر عن أن هذه الأرض غير أرض البقيع، مما يدل على أنه كانت المدينة أحياءً متفرقة، وكان لكل حي من أحياءها مكاناً خاصاً لدفن موتاهم.

كما ويدل الحديث أيضاً على أن حسن الأخلاق يؤثر تكويناً على الإنسان وعلى حياته وموته، وعلى ما يحيط به من سماء وأرض وغير ذلك.

وكيف كان فالمحراب وصلاة الجماعة مبعث لكثير من الخيرات، لأن صلاة الجماعة توجب اجتماع المؤمنين، وتقترن غالباً وفي كثير من الأحيان بالخطابة والوعظ، وإرشاد الناس إلى الخير والتقوى، والفضيلة والأخلاق، والى التعاون بينهم، وحل مشاكلهم من تزويج عزابهم ومساعدات بعضهم لبعض، وتحتوي على تعليم التوحيد والمعاد وفضائل الرسول ﷺ وآله الأطهار عليهم السلام وغير ذلك مما هو محسوس في صلوات الجماعة إلى هذا اليوم.

يقول الكاتب المسيحي جرجي زيدان، وهو لا يؤمن بنبينا كنبي، ولكن يعترف بعظمته كعظيم:

إن نبي الإسلام كان في غاية الذكاء، ويستدل لذلك بأن الحكومة تقوم على أمرين: المال والرجال، وقد أقر نبي الإسلام الزكاة لأجل توفير المال، كما أقر صلاة الجماعة لأجل جمع الرجال.

---

(٥٣) الكافي: ج٢ ص١٠١ باب حسن الخلق ح١٠.

مراكز عبادة لجماعة النساء

نعم، إن النبي ﷺ كان أول إمام جماعة صلى بمن آمن معه في الإسلام في مكة، ثم في المدينة حيث توسعت صلاة الجماعة لكثرة المسلمين رجالاً ونساءً فكان الرجال يصلون خلفه، ثم النساء خلف الرجال، ولما نزلت آية الحجاب(٥٤)، جعل بين الرجال والنساء حجاب يفصل النساء عن الرجال، بالإضافة إلى تعيين النبي ﷺ امرأة صالحة تسمى: أم ورقة، لتصلي بالنساء جماعة، وصلاة الجماعة النسوية موجودة ومتعارفة لحد الآن في بعض بلاد الخليج وغيرها من البلدان الإسلامية الأخرى.

وقد ورد أيضاً انه كان في زمان أمير المؤمنين علي عليه السلام أربعة مساجد في الكوفة خاصة بالنساء، كما توجد في الحال الحاضر حسينيات خاصة بالنساء، وقد رأيت ذلك في الكويت، ولعل كون المساجد خاصة بالنساء وكذلك الحسينيات، لأن النساء يذهبن إليها لإقامة صلاة الجماعة، واستماع الوعظ والإرشاد والتوجيه الديني، وتعليم المسائل الشرعية الخاصة بالنساء، عن طريق امرأة عالمة بالمسائل والأحكام الشرعية، فان هذه المرأة العالمة تؤم النساء بالصلاة، وتخطب فيهن، وتلقي عليهن المواعظ والنصائح، وتعلمهن المسائل الشرعية، وذلك لأن النساء بعضهن أعرف ببعض، وأعلم بما يحتجن إليه من المسائل والأحكام الشرعية وهن أنسب لبيان ذلك.

ثم إن الفقهاء لم يكتفوا بتصحيح صلاة جماعة النساء، بل ذكروا صحة صلاة جماعة الأطفال أيضاً، وذلك بأن يكون أحدهم إماماً وبقية الأطفال مأمومين، وكان ذلك متعارفاً في الزمان السابق في مدارس الأطفال التي كانت تسمّى بالكتاتيب وكانت تنعقد في المساجد كما كان متعارفاً في صحن الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام وصحن أبي الفضل العباس عليه السلام وقد وفقت أيام طفولتي لأن أكون إماماً للأطفال وذلك في الأيام التي كنت أذهب لتعلّم القراءة والكتابة، والقرآن والحديث إلى صحن الإمام الحسين عليه السلام عند المرحوم الشيخ علي

---

(٥٤) سورة الأحزاب: ٥٩، ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾.

أكبر النائيني ﷺ حيث كان معلماً ورعاً وقد وقف نفسه لتعليم الأطفال وتنشئتهم على الأخلاق والآداب، وذلك في جانب من صحن الإمام الحسين عليه السلام.

صلاة الجماعة وأهميتها

أجل لقد اهتم الإسلام بصلاة الجماعة اهتماماً كبيراً حتى انه جعلها علامة من علامات العدالة للإنسان المسلم، فالمسلم المصلي جماعة يعرف بالعدالة، وحرّض على حضور الجماعة، كما هدد تارك الجماعة ومن إصراره عليها: انه عد الجماعة قائمة حتى بعد موت الإمام في أثناء الصلاة أو ما أشبه الموت، فأمر بتقديم أحدهم إماماً للجماعة وليتم الصلاة بهم إذا حدث حادث أثناء الصلاة، والجماعة تتحقق في الصلوات الواجبة حتى ولو كانت صلاة الطواف أو الأموات، كما انها قد تتحقق في بعض الصلوات المستحبة وذلك على ما ذكره الفقهاء في كتبهم المفصلة.

روايات في فضل صلاة الجماعة

عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما يروي الناس أن الصلاة في جماعة أفضل من صلاة الرجل وحده بخمس وعشرين صلاةً؟ فقال: «صدقوا» فقلت: الرجلان يكونان جماعةً؟ فقال: «نعم ويقوم الرجل عن يمين الإمام»(٥٥).

وعن السكوني عن أبي عبد الله عليه السلام عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من صلى الخمس في جماعة فظنوا به خيراً»(٥٦).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ليكن الذين يلون الإمام أولي الأحلام منكم والنهى، فإن نسي الإمام أو تعايا قوموه، وأفضل الصفوف أولها، وأفضل أولها ما دنا من الإمام، وفضل صلاة الجماعة على صلاة الرجل فرداً خمس وعشرون درجةً في الجنة»(٥٧).

عن الفضل بن شاذان عن الإمام الرضا عليه السلام قال: «إنما جعلت الجماعة لئلا يكون الإخلاص والتوحيد والإسلام والعبادة لله إلا ظاهراً مكشوفاً مشهوراً، لأن في إظهاره حجةً على أهل الشرق والغرب لله وحده، وليكون المنافق والمستخف مؤدياً لما أقر به يظهر الإسلام

---

(٥٥) الكافي: ج٣ ص٣٧١ باب فضل الصلاة في الجماعة ح١.

(٥٦) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٨٦ ب١ ح١٠٦٧٨.

(٥٧) تهذيب الأحكام: ج٣ ص٢٦٥ ب٢٥ ح٧١.

والمراقبة، وليكون شهادات الناس بالإسلام بعضهم لبعض جائزةً ممكنةً، مع ما فيه من المساعدة على البر والتقوى والزجر عن كثير من معاصي الله عز وجل»[٥٨].

وجاء نفر من اليهود إلى رسول اللهﷺ فسأله أعلمهم عن أشياء، فأجابهﷺ إلى أن قال: «أما الجماعة فإن صفوف أمتي في الأرض كصفوف الملائكة في السماء، والركعة في جماعة أربع وعشرون ركعةً، كل ركعة أحب إلى الله عز وجل من عبادة أربعين سنةً، وأما يوم الجمعة فإن الله يجمع فيه الأولين والآخرين للحساب، فما من مؤمن مشى إلى الجماعة إلا خفف الله عزوجل عليه أهوال يوم القيامة ثم يجازيه الجنة»[٥٩].

عن النبيﷺ قال: «من صلى الفجر في جماعة ثم جلس يذكر الله عز وجل حتى تطلع الشمس كان له في الفردوس سبعون درجةً، بعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد المضمر سبعين سنةً، ومن صلى الظهر في جماعة كان له في جنات عدن خمسون درجةً، بعد ما بين كل درجتين كحضر الفرس الجواد خمسين سنةً، ومن صلى العصر في جماعة كان له كأجر ثمانية من ولد إسماعيل كلهم رب بيت يعتقهم، ومن صلى المغرب في جماعة كان له كحجة مبرورة وعمرة مقبولة، ومن صلى العشاء في جماعة كان له كقيام ليلة القدر»[٦٠].

وقال الصادق جعفر بن محمدعليه السلام: «أول جماعة كانت أن رسول اللهﷺ كان يصلي وأمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام معه إذ مر أبو طالب به وجعفر معه، فقال: يا بني صل جناح ابن عمك، فلما أحسه رسول اللهﷺ تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً» إلى أن قال: «فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم»[٦١].

---

(٥٨) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٨٧ ب١ ح١٠٦٨٣.

(٥٩) الخصال: ج٢ ص٣٥٥ سبع خصال أعطاها الله عزوجل نبيه ﷺ ح٣٦.

(٦٠) وسائل الشيعة: ج٨ ص٢٨٨ ب١ ح١٠٦٨٥.

(٦١) الأمالي للصدوق: ص٥٠٨ المجلس٧٦ ح٤.

٥

التأسيس

من المقومات الأخرى لرجل الدين تأسيس المؤسسات الخيرية، ذات النفع العام، وذلك بأن يؤسس كل رجل دين مؤسسة ثقافية، أو اجتماعية، أو صحية، أو اقتصادية، أو غير ذلك، مثل بناء المساجد والحسينيات، والمدارس والمكتبات، والمصارف ونحو ذلك مما يصلح دين المسلمين ودنياهم، فقد ذكرت بعض المجلات أن البابا يقدم توجيهات خاصة إلى كل المبشرين المسيحيين، الفائق عددهم على خمسة ملايين مبشر، ويوصيهم بأن يقوم كل مبشر من المسيحيين ممن يبقى خمسة أعوام في محل ببناء مؤسسة مسيحية هناك، ولذا نرى أن المؤسسات المسيحية كالكنائس ومراكز التبشير ونحو ذلك تزداد في كل خمسة أعوام إلى أعدادها السابقة خمسة ملايين مؤسسة.

المؤسسات الخيرية

نعم، هكذا يبني غير المسلمين من مسيحيين ويهود ومجوس وغيرهم المؤسسات الخيرية تبليغاً لدينهم، مع أن المسلمين أولى بالبناء والتأسيس منهم، ولذا ينبغي لرجل الدين الاهتمام بالتأسيس، تبليغاً للإسلام الحكيم الذي أراده الله أن يكون هو الدين المنقذ والمسعد لكل البشرية، والذي لم يقبل الله من أحد ديناً غيره كما قال تعالى: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾(٦٢).

وعليه: فرجل الدين المسلم أولى من غيره بالتبليغ والتأسيس لأن الإسلام هو دين الله الحق، وإن كان الغير يبني ويؤسس أيضاً من باب الاشتغال بأنفسهم، واندفاع بعضهم ببعض كما ذكره الله سبحانه في القرآن الحكيم بقوله: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت

(٦٢) سورة آل عمران: ٨٥.

صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً﴾[٦٣] وهذه المذكورات في الآية من صوامع وبيع وصلوات ومساجد هي مؤسسات لليهود والنصارى والمجوس والمسلمين على ما ذكروه في التفاسير.

هذا، وقد ذكرت إحدى الجرائد: أن القاديانية[٦٤] بنوا في لندن مركزاً لهم على مساحة خمسين كيلو متراً[٦٥].

الاستشارة رمز التقدم

ثم إنه ينبغي لكل رجل دين بصورة خاصة أن يستشير أهل الفن والخبرة، وأهل الإطلاع والبصيرة حول كيفية عمله في التأليف والتدريس والتأسيس والمنبر والمحراب.

كما انه ينبغي لكل شاب مسلم، وشابة مسلمة بصورة عامة أن يستشير في عمله وأن يطبق في حياته ستة أمور: الزواج، والتقوى، والأخلاق الحسنة، وتأسيس المؤسسات لخدمة الناس، والتأليف إذا كان مثقفاً، والبيان الحسن، وذلك بأن يخطب خطاباً جميلاً وان لم يكن رجل دين، سواء كان طبيباً أم مهندساً أم محامياً أم أستاذاً، أم غير ذلك، إذ على كل مسلم إبلاغ الإسلام إلى من يسعه الإبلاغ إليه، ليعم عدل الإسلام ورحمته الجميع، ويشملهم خيره وبركته.

ثقافة التعددية

كما ينبغي لرجال الدين بعد التحلي بالأمور السابقة: العمل على رفع ثقافة الناس، ونشر الوعي السياسي بينهم بتعميم ثقافة التعددية عندهم، وتحذيرهم من الاستبداد الفردي والأنانية الشخصية، وحثهم على تشكيل الأحزاب الحرة، لتكون لهم الأمن والأمان من الحكم الدكتاتوري الذي يحكمه الحزب الواحد كما يشاء، فان الرسول ﷺ جعل المسلمين الذين كانوا هم له بمنزلة الجناح والساعد، فريقين: المهاجرين والأنصار، مع العلم أن كليهما

---

(٦٣) سورة الحج: ٤٠.

(٦٤) القاديانية: فرقة حديثة أسسها في قاديان في البنجاب بالهند عام ١٨٨٩ ميرزا غلام أحمد (١٨٣٩-١٩٠٨م) الذي زعم أنه المهدي المنتظر، وأتباعه يقولون إنه تظاهر بالموت ولجأ إلى الهند، وجماعته تعرف بالأحمدية أيضاً، ولهم عقائد باطلة.

(٦٥) جريدة (المسلمون) التي تصدر في لندن.

كانا في كل الأحكام سواء، حتى انه جاء اسمهما في القرآن الحكيم معاً، وفي السنة المطهرة أيضاً كذلك، كما ويفهم هذا المعنى أيضاً، من رواية جاءت في كتاب السبق والرماية وقد ذكرها صاحب الجواهر، والمسالك، وجامع المقاصد، وغيرها من كتب الفقه والحديث: انه كان في زمان رسول الله ﷺ يشترك المسلمون في إقامة المسابقات المحللة على شكل أحزاب لقوله ﷺ: «أنا في الحزب الذي فيه ابن الأدرع»[٦٦].

كما انه ينبغي لرجال الدين أيضاً نشر ثقافة الشورى والاستشارة في كل شيء، وخاصة بالنسبة إلى الحكومة والحاكم، حيث ان الله تبارك وتعالى جعل حق الحاكمية لنفسه، ثم منحها لرسوله ﷺ، ثم للائمة المعصومين من أهل بيته عليهم السلام، ومنحها الإمام المهدي عجل الله تعالى فرجه الشريف للمراجع الفقهاء جميعاً، وليس لواحد منهم دون آخر وأن يعملوا على حث الناس للمطالبة بتشكيل شورى المرجعية، فانه مع تشتت المراجع لا تستقيم الأمور الدينية ولا الدنيوية للمسلمين، بل لكل الناس، وقد عمل المسيحيون وغيرهم شورى بينهم، وذلك منذ أكثر من خمسين سنة، ولذلك تقدموا في العديد من المجالات، وعلى المسلمين ان أرادوا التقدم أن يجتمع فقهاؤهم المراجع في صورة (شورى المرجعية) لإدارة الشؤون العامة الدينية والدنيوية، وما يرتبط بأمور الدين والدنيا معاً وما يتعلق بتقدم البلاد والعباد جميعاً، فانه بهذين الأمرين أي: الأحزاب الحرة وشورى المرجعية، تستقيم أمور الناس ديناً ودنيا، وقد ذكرنا هذين الأمرين في بعض كتبنا بتفصيل[٦٧]، وإنما أردنا هنا الإشارة إلى ذلك فقط.

توصية أخيرة

وفي الختام: أوصي رجال الدين بما أوصى به الإسلام من خدمة الناس وإيصال النفع إليهم، فانه بالإضافة إلى ما ذكرناه: من التأليف، والمنبر، والتدريس، والمحراب، والتأسيس، ينبغي لرجال الدين أن يهتموا بحل مشاكل الناس حسب الإمكان، فإن ذلك هو منهج الأنبياء والأئمة (صلوات الله عليهم أجمعين)، وقد وردت عنهم في ذلك قصص كثيرة وروايات متواترة في كتب الأحاديث والتفاسير والتاريخ وغيرها، مما تفرض على أهل العلم

(٦٦) مستدرك الوسائل: ج١٤ ص٧٩ ب٢ ح١٦١٤٢.

(٦٧) راجع موسوعة الفقه: كتاب القانون وكتاب السياسة.

ورجال الدين أن يسعوا في حل مشكلة السكن، ومعضلة البطالة، وانخفاض نسبة الزواج، وارتفاع نسبة الطلاق، وكثرة المنكرات، وشيوع الفساد، وغير ذلك من المشكلات والويلات التي ابتليت بها الأمة الإسلامية جمعاء.

المشاكل: أسبابها وحلولها

لا يخفى: إن كل ذلك يرجع إلى سبب رئيسي واحد، وهو: عدم العمل بأحكام الله تعالى، وعدم تطبيقها في حياتنا العملية..

إذ حكم الله في الأرض هو: «فإن الأرض لله ولمن عمرها» كما قاله الرسول صلى الله عليه وآله[٦٨].

وحكم الله في المباحات الأصلية كالغابات والمعادن والمياه وصيد الحيوانات المباحة في البحر والبر والجوّ هو ملكية من سبق إلى حيازتها بقدر حصته.

وحكم الله في العمل والتجارة، والحضر والسفر، والدراسة والتعليم وغير ذلك هو الجواز لمن اختار شيئاً منها.

وحكم الله في الحكومة والحاكم هو الانتخاب الحر، والعدل في الرعية، وقلة الموظفين، وعدم استبداد الحاكم أو الحكومة، ورفع الحدود الجغرافية والحواجز النفسية، ووضع القيود عن أيدي الناس، والعراقيل عن طريق تقدمهم.

بينما نرى اليوم أن كل ذلك صار على العكس، فلا يستطيع المسلم أن يعمل شيئاً، ولا أن يرفع رجلاً عن رجل، إلا برخصة وإجازة وضريبة وشروط أخرى.

إضافة إلى كثرة الموظفين الذين هم عالة على الناس، بينما كان الواجب أن يكونوا هم أيضاً منتجين إذا كان النظام صحيحاً.

مضافاً إلى الحدود الجغرافية التي تحد من حرية المسلمين في الإقامة والسكنى وتنقلهم أينما شاؤوا كما كان سابقاً، أي: قبل وضع هذه الحدود المصطنعة، والحواجز المفتعلة.

بالإضافة إلى القوانين الوضعية الكابتة للحريات، والخانقة للشعوب، والمدمّرة للكفاءات، والهادمة للمؤهلات، مما لم يكن لها عين ولا أثر، لا في الإسلام ولا عند العقلاء إلا بعد تقنين الغرب لهذه القوانين الباطلة التي ما أنزل الله بها من سلطان.

---

(٦٨) الكافي: ج٥ ص٢٧٩ باب في إحياء أرض الموات ح٢.

فإذا أخذنا بقانون الإسلام وعملنا به، فانه عند ذلك تحل مشاكلنا، فترتفع مشكلة السكن لأن الناس يبنون الدور لقاعدة: «الأرض لله ولمن عمرها» وتتوفر فرصة العمل لقاعدة: «الناس مسلطون على أموالهم وأنفسهم»[٦٩] فتسبب عدم وجود البطالة، وهكذا ترتفع بقية المشاكل.

مثلاً: يعانون في اليابان من مشكلة قلة الأيادي العاملة وكثرة فرص العمل مع العلم بأن نفوسهم مائة وثلاثون مليون نسمة، ولذلك صنعوا الإنسان الآلي بكمية كبيرة، للقيام بالأعمال التي ربما تبقى معطلة لولاها، لعدم وجود عمال وقلة الأيادي العاملة عندهم، كما نقلت ذلك الصحف والإذاعات المحلية والعالمية، كما أنه لم تكن عندهم هذه المشاكل التي نعاني منها وبشكل قاس وشديد: مشكلة السكن، والبطالة، وشيوع المنكرات، وكثرة الفساد، وقد رأيت أنا الرخاء وعدم وجود هذه المشاكل أيام ما كنا في العراق، فانه قبل نصف قرن تقريباً وعلى أثر العدالة الإسلامية لم تكن مشكلة للعيش والسكن، ولا بطالة ولا فساد ولا ما أشبه.

(٦٩) راجع موسوعة الفقه القواعد الفقهية (قاعدة السلطنة).

خاتمة:

العلم والعلماء

في القرآن الكريم والروايات الشريفة

الآيات والروايات

هناك آيات وروايات كثيرة وردت في بيان فضل العلم والعلماء والحث على تعلم العلوم ونشرها، مضافاً إلى ما ورد من التأكيد على العقل واللب والتدبر وما أشبه، نشير إلى بعضها:

قال تعالى: ﴿الرحمن ۞ علم القرآن ۞ خلق الإنسان ۞ علمه البيان﴾[٧٠].

وقال سبحانه: ﴿أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[٧١].

وقال تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب﴾[٧٢].

وقال سبحانه: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[٧٣].

وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم فأسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾[٧٤].

وقال سبحانه: ﴿يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾[٧٥].

وقال تعالى: ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا

---

(٧٠) سورة الرحمن: ١-٤.

(٧١) سورة الرعد: ١٩.

(٧٢) سورة الزمر: ٩.

(٧٣) سورة الزمر: ١٨.

(٧٤) سورة النحل: ٤٣.

(٧٥) سورة البقرة: ٢٦٩.

الألباب﴾[٧٦].

وقال سبحانه: ﴿و ما كان المؤمنون لينفروا كافةً فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[٧٧].

وقال تعالى: ﴿إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾[٧٨].

وقال سبحانه: ﴿أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون﴾[٧٩].

وقال تعالى: ﴿كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون﴾[٨٠].

وقال سبحانه: ﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم﴾[٨١].

وقال تعالى: ﴿لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر أولئك سنؤتيهم أجراً عظيماً﴾[٨٢].

وقال سبحانه: ﴿اقرأ وربك الأكرم ۞ الذي علم بالقلم ۞ علم الإنسان ما لم يعلم﴾[٨٣].

وقال تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير﴾[٨٤].

النهي عن تصدي غير العالم

---

(٧٦) سورة آل عمران: ٧.

(٧٧) سورة التوبة: ١٢٢.

(٧٨) سورة آل عمران: ١٩٠.

(٧٩) سورة البقرة: ٤٤.

(٨٠) سورة البقرة: ٢٤٢.

(٨١) سورة آل عمران: ١٨.

(٨٢) سورة النساء: ١٦٢.

(٨٣) سورة العلق: ٣-٥.

(٨٤) سورة المجادلة: ١١.

قال تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[٨٥].

وقال سبحانه: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد﴾[٨٦].

وقال تعالى: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾[٨٧].

وقال سبحانه: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولاتتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾[٨٨].

من المستحبات الشرعية

ومن المستحبات على ما ذكره الفقهاء والمحدثون الجلوس مع الذين يذكرون الله ومع الذين يتذاكرون العلم[٨٩].

قال لقمان لابنه: «يا بني اختر المجالس على عينك فإن رأيت قوماً يذكرون الله فاجلس معهم، فإن تكن عالماً ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً علموك، ولعل الله أن يظلهم برحمة فتعمك معهم، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس معهم، فإنك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك، وإن تكن جاهلا يزيدوك جهلاً ولعل الله أن يظلهم بعقوبة فيعمك معهم»[٩٠].

طلب العلم فريضة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضة على كل مسلم ألا إن الله يحب بغاة العلم»[٩١].

---

(٨٥) سورة الإسراء: ٣٦.

(٨٦) سورة الحج: ٣.

(٨٧) سورة النور: ١٥.

(٨٨) سورة الجاثية: ١٨.

(٨٩) انظر وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٣٠. ب٥٠ ط مؤسسة آل البيت عليهم السلام.

(٩٠) وسائل الشيعة: ج٧ ص٢٣١ ب٥٠ ح٩١٩٨.

(٩١) الكافي: ج١ ص٣٠ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، ح١.

كمال الدين

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «أيها الناس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به، وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إن المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه سيفي لكم والعلم مخزون عليكم عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه»[٩٢].

تفقهوا في الدين

وعن علي بن أبي حمزة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «تفقهوا في الدين، فإنه من لم يتفقه منكم في الدين فهو أعرابي، إن الله يقول في كتابه: ﴿ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾[٩٣]»[٩٤].

من لم يتفقه في دين الله

وعن مفضل بن عمر قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «عليكم بالتفقه في دين الله ولا تكونوا أعراباً فإنه من لم يتفقه في دين الله لم ينظر الله إليه يوم القيامة ولم يزك له عملا»[٩٥].

حتى يتفقهوا

وعن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «لوددت أن أصحابي ضُربت رءوسهم بالسياط حتى يتفقهوا»[٩٦].

كيف يتفقه هذا؟

وعن محمد بن عيسى عمن رواه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال له رجل: جعلت فداك رجل عرف هذا الأمر لزم بيته ولم يتعرف إلى أحد من إخوانه، قال: فقال: «كيف يتفقه هذا

---

(٩٢) بحار الأنوار: ج١ ص١٧٥ ب١ ح٤١.

(٩٣) سورة التوبة: ١٢٢.

(٩٤) المحاسن: ج١ ص٢٢٩ ب١٥ ح١٦٣.

(٩٥) منية المريد: ص٣٧٥ الفصل الأول في أقسام العلوم الشرعية.

(٩٦) الكافي: ج١ ص٣١ باب فرض العلم ووجوب طلبه والحث عليه، ح٨.

في دينه»[٩٧].

خير الجلساء

عن ابن عباس قال: قيل: يا رسول الله أي الجلساء خير؟ قال: «من ذكركم بالله رؤيته وزادكم في علمكم منطقه وذكركم بالآخرة عمله»[٩٨].

أليس كان جليسهم؟

وعن الصادق عليه السلام أنه قال: «إن الله عز وجل يقول لملائكته عند انصراف أهل مجالس الذكر والعلم إلى منازلهم: أكتبوا ثواب ما شاهدتموه من أعمالهم، فيكتبون لكل واحد ثواب عمله ويتركون بعض من حضر معهم فلا يكتبونه، فيقول الله عزوجل: ما لكم لم تكتبوا فلاناً أليس كان معهم وقد شهدهم، فيقولون: يا رب إنه لم يشرك معهم بحرف ولا تكلم معهم بكلمة، فيقول الجليل جل جلاله: أليس كان جليسهم؟ فيقولون: بلى يا رب، فيقول: اكتبوه معهم إنهم قوم لا يشقى بهم جليسهم، فيكتبوه معهم، فيقول تعالى: اكتبوا له ثواباً مثل ثواب أحدهم»[٩٩].

لا خير في العيش إلا..

وعن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا خير في العيش إلا لمستمع واع أو عالم ناطق»[١٠٠].

مرحبا بوصية الرسول صلى الله عليه وآله

وكان علي بن الحسين عليه السلام إذا جاءه طالب علم قال: «مرحبا بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يقول: إن طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلا سبحت له إلى الأرضين السابعة»[١٠١].

---

(٩٧) وسائل الشيعة: ج١٥ ص٣٥٤ ب٥١ ح٢٠٧٢٢.

(٩٨) مستدرك الوسائل: ج٥ ص٣٩٥ ب٤٢ ح٦١٧٣.

(٩٩) غوالي اللآلي: ج٤ ص٦٧-٦٨ ح٢٩.

(١٠٠) بحار الأنوار: ج١ ص١٦٨ ب١ ح١٣.

(١٠١) الخصال: ج٢ ص٥١٨ ح٤.

استوصوا بهم خيرا

وعن أبي هارون العبدي قال: كنا إذا أتينا أبا سعيد الخدري قال: مرحبا بوصية رسول الله ﷺ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيأتيكم قوم من أقطار الأرض يتفقهون وإذا رأيتموهم فاستوصوا بهم خيرا» قال: ويقول وأنتم وصية رسول الله ﷺ [١٠٢].

استماع العلم

قال رسول الله ﷺ: «أربع يلزمن كل ذي حجى وعقل من أمتي»، قيل: يا رسول الله ما هن؟ قال: «استماع العلم وحفظه ونشره عند أهله والعمل به»[١٠٣].

من المروة

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في وصيته لابنه محمد بن الحنفية: «واعلم أن مروة المرء المسلم مروتان مروة في حضر ومروة في سفر أما مروة الحضر فقراءة القرآن ومجالسة العلماء والنظر في الفقه والمحافظة على الصلاة في الجماعات، وأما مروة السفر فبذل الزاد وقلة الخلاف على من صحبك وكثرة ذكر الله عز وجل في كل مصعد ومهبط ونزول وقيام وقعود»[١٠٤].

الجلوس عند الفقهاء

عن محمد بن علي عن علي بن الحسين عن الحسين بن علي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ : «المتقون سادة والفقهاء قادة والجلوس إليهم عبادة»[١٠٥].

الجلساء ثلاثة

وروي عن بعض الصادقين عليه السلام أنه قال: «الجلساء ثلاثة جليس تستفيد منه فالزمه

---

(١٠٢) الأمالي للطوسي: ص٤٧٨ المجلس١٧ ح١٠٤٤.

(١٠٣) بحار الأنوار: ج١ ص١٦٨ ب١ ح١٤.

(١٠٤) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٠ ب٤ ح٥.

(١٠٥) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠١ ب٤ ح٩.

وجليس تفيده فأكرمه وجليس لا تفيد ولا تستفيد منه فاهرب عنه»[١٠٦].

خير من قيام ألف ليلة

عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قيام ألف ليلة، يصلى في كل ليلة ألف ركعة، والجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من ألف غزوة وقراءة القرآن كله»، قال: يا رسول الله مذاكرة العلم خير من قراءة القرآن كله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أبا ذر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم أحب إلى الله من قراءة القرآن كله اثنا عشر ألف مرة، عليكم بمذاكرة العلم، فإن بالعلم تعرفون الحلال من الحرام، يا أبا ذر الجلوس ساعة عند مذاكرة العلم خير لك من عبادة سنة صيام نهارها وقيام ليلها، والنظر إلى وجه العالم خير لك من عتق ألف رقبة»[١٠٧].

العلم حياة للقلوب

قال لقمان لابنه: «يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتك، فإن الله عز وجل يحيي القلوب بنور الحكمة كما يحيي الأرض بوابل السماء»[١٠٨].

مجالسة العلماء عبادة

عن الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مجالسة العلماء عبادة، والنظر إلى علي عليه السلام عبادة، والنظر إلى البيت عبادة، والنظر إلى المصحف عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة»[١٠٩].

وعن موسى بن جعفر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «النظر في وجه العالم حبا له عبادة»[١١٠].

من هو العالم

---

(١٠٦) غوالي اللآلي: ج٤ ص٧٩ ح٧٣.

(١٠٧) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٣-٢٠٤ ب٤ ح٢١.

(١٠٨) روضة الواعظين: ج١ ص١١ باب الكلام في ماهية العلوم وفضلها.

(١٠٩) كشف الغمة: ج٢ ص٢٦٨.

(١١٠) مستدرك الوسائل: ج٩ ص١٥٢ ب١٤٥ ح١٠٥٢٨.

وقال النبي ﷺ: «لا تجلسوا عند كل عالم إلا عالم يدعوكم من الخمس إلى الخمس، من الشك إلى اليقين، ومن الكبر إلى التواضع، ومن الرياء إلى الإخلاص، ومن العداوة إلى النصيحة، ومن الرغبة إلى الزهد»(١١١).

جالس العلماء

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: «من جالس العلماء وقر، ومن خالط الأنذال حقر»(١١٢).

لعلك تكون منهم

وقال لقمان لابنه: «أي بني صاحب العلماء وجالسهم وزرهم في بيوتهم لعلك أن تشبههم فتكون منهم»(١١٣).

افضل من عبادة ألف سنة

قال أمير المؤمنين عليه السلام: «جلوس ساعة عند العلماء أحب إلى الله من عبادة ألف سنة، والنظر إلى العالم أحب إلى الله من اعتكاف سنة في البيت الحرام، وزيارة العلماء أحب إلى الله تعالى من سبعين طوافا حول البيت، وأفضل من سبعين حجة وعمرة مبرورة مقبولة، ورفع الله له سبعين درجة وأنزل الله عليه الرحمة وشهدت له الملائكة أن الجنة وجبت له»(١١٤).

بين مجلس العلم ومجلس الذكر

وخرج رسول الله ﷺ فإذا في المسجد مجلسان مجلس يتفقهون ومجلس يدعون الله ويسألونه، فقال: «كلا المجلسين إلى خير، أما هؤلاء فيدعون الله، وأما هؤلاء فيتعلمون ويفقهون الجاهل، هؤلاء أفضل بالتعليم أرسلت ثم قعد معهم»(١١٥).

إحياء العلم

---

(١١١) الاختصاص: ص٣٣٥ حديث في زيارة المؤمن لله.

(١١٢) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٥ ب٤ ح٣٠.

(١١٣) كنز الفوائد: ج٢ ص٦٦.

(١١٤) عدة الداعي: ص٧٥.

(١١٥) منية المريد: ص١٠٦ فصل٢ فيما روي عن النبي ﷺ في فضل العلم.

وعن الباقر عليه السلام: «رحم الله عبدا أحيا العلم» فقيل: وما إحياؤه؟ قال: «أن يذاكر به أهل الدين وأهل الورع»[١١٦].

صلاة حسنة

وعنه عليه السلام قال: «تذاكر العلم دراسة والدراسة صلاة حسنة»[١١٧].

صفات الخير

وجاء في الزبور: «قل لأحبار بني إسرائيل ورهبانهم: حادثوا من الناس الأتقياء، فإن لم تجدوا فيهم تقيا فحادثوا العلماء، فإن لم تجدوا عالما فحادثوا العقلاء، فإن التقى والعلم والعقل ثلاث مراتب ما جعلت واحدة منهن في خلقي وأنا أريد هلاكه»[١١٨].

العلم نور من الله

ورد أن عنوان البصري وكان شيخا كبيرا قد أتى عليه أربع وتسعون سنة، قال: كنت أختلف إلى مالك بن أنس سنين، فلما حضر جعفر الصادق عليه السلام المدينة اختلفت إليه وأحببت أن آخذ عنه كما أخذت من مالك، فقال لي يوما: إني رجل مطلوب، ومع ذلك لي أوراد في كل ساعة من آناء الليل والنهار، فلا تشغلني عن وردي ... فاغتممت من ذلك وخرجت من عنده وقلت في نفسي: لو تفرس فيّ خيرا لما زجرني عن الاختلاف إليه والأخذ عنه، فدخلت مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلمت عليه ثم رجعت من الغد إلى الروضة وصليت فيها ركعتين وقلت: أسألك يا الله يا الله أن تعطف علي قلب جعفر، وترزقني من علمه ما أهتدي به إلى صراطك المستقيم.

ورجعت إلى داري مغتما ولم أختلف إلى مالك بن أنس لما أشرب قلبي من حب جعفر، فما خرجت من داري إلا إلى الصلاة المكتوبة حتى عيل صبري، فلما ضاق صدري تنعلت وترديت وقصدت جعفرا، وكان بعد ما صليت العصر، فلما حضرت باب داره استأذنت عليه، فخرج خادم له فقال: ما حاجتك؟

---

(١١٦) راجع الكافي: ج١ ص٤١ باب سؤال العالم وتذاكره ح٧.

(١١٧) بحار الأنوار: ج١ ص٢٠٦ ب٤ ح٣٧.

(١١٨) منية المريد: ص١٢٠ فصل٥ في فضل العلم والكتب السالفة والحكم القديمة.

فقلت: السلام على الشريف.

فقال: هو قائم في مصلاه. فجلست بحذاء بابه فما لبثت إلا يسيرا إذ خرج خادم فقال: ادخل على بركة الله.

فدخلت وسلمت عليه، فرد عليّ السلام وقال: «اجلس غفر الله لك». فجلست، فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال: «أبو من»؟

قلت: أبو عبد الله.

قال: «ثبت الله كنيتك ووفقك لمرضاته»؟

قلت في نفسي: لو لم يكن لي من زيارته والتسليم غير هذا الدعاء لكان كثيرا.

ثم أطرق ملياً ثم رفع رأسه، فقال: «يا أبا عبد الله ما حاجتك»؟

قلت: سألت الله أن يعطف قلبك علي ويرزقني من علمك وأرجو أن الله تعالى أجابني في الشريف ما سألته.

فقال: «يا أبا عبد الله ليس العلم بالتعلم، إنما هو نور يقع في قلب من يريد الله تبارك وتعالى أن يهديه، فإن أردت العلم فاطلب أولا من نفسك حقيقة العبودية، واطلب العلم باستعماله، واستفهم الله يفهمك».

قلت: يا شريف.

فقال: قل: «يا أبا عبد الله».

قلت: يا أبا عبد الله ما حقيقة العبودية؟

قال: «ثلاثة أشياء، أن لا يرى العبد لنفسه فيما خوله الله ملكا، لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله، يضعونه حيث أمرهم الله تعالى به، ولا يدبر العبد لنفسه تدبيرا، وجملة اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم ير العبد لنفسه فيما خوله الله تعالى ملكا هان عليه الإنفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه، وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا، وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس، فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وإبليس والخلق، ولا يطلب الدنيا تكاثرا وتفاخرا، ولا يطلب ما عند الناس عزا وعلوا، ولا يدع أيامه باطلا، فهذا أول درجة التقى، قال الله تبارك وتعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين

لايريدون علوا في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين﴾[١١٩]».

قلت: يا أبا عبد الله أوصني.

قال: «أوصيك بتسعة أشياء، فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله، ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم، فاحفظها وإياك والتهاون بها».

قال عنوان: ففرغت قلبي له.

فقال: «أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه، فإنه يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلا عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالا وسم الله، واذكر حديث الرسول صلى الله عليه وآله: «ما ملأ آدمي وعاء شرا من بطنه فإن كان ولابد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه»، وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك إن قلت واحدة سمعت عشرا، فقل إن قلت عشرا لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له إن كنت صادقا فيما تقول، فالله أسأل أن يغفرها لي وإن كنت كاذبا فيما تقول فالله أسأل أن يغفرها لك، ومن وعدك بالجفاء فعده بالنصيحة والدعاء، وأما اللواتي في العلم فاسأل العلماء ما جهلت، وإياك أن تسألهم تعنتا وتجربة، وإياك أن تعمل برأيك شيئا، وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلا، واهرب من الفتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك للناس جسرا، قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد علي وردي فإني امرؤ ضنين بنفسي والسلام»[١٢٠].

ويدل هذا الحديث على الظروف القاسية والتقية الشديدة التي كان يعيشها الإمام عليه السلام.

تفرغ للعلم

عن النبي صلى الله عليه وآله: «إن موسى عليه السلام لقي الخضر عليه السلام فقال: أوصني.

فقال الخضر: يا طالب العلم إن القائل أقل ملالة من المستمع فلا تمل جلساءك إذا حدثتهم، واعلم أن قلبك وعاء فانظر ما ذا تحشو به وعاءك، واعرف الدنيا وانبذها وراءك، فإنها ليست لك بدار ولا لك فيها محل قرار، وإنها جعلت بلغة للعباد ليتزودوا منها للمعاد، يا موسى وطن نفسك على الصبر تلقى الحلم، وأشعر قلبك التقوى تنل العلم، ورض نفسك على الصبر تخلص من الإثم، يا موسى تفرغ للعلم إن كنت تريده، فإنما العلم لمن تفرغ له، ولا

---

(١١٩) سورة القصص: ٨٣.

(١٢٠) مشكاة الأنوار: ص٣٢٥-٣٢٨ الباب التاسع في ذكر المواعظ.

تكونن مكثارا بالمنطق مهذارا، إن كثرة المنطق تشين العلماء وتبدي مساوئ السخفاء، ولكن عليك بذي اقتصاد، فإن ذلك من التوفيق والسداد، وأعرض عن الجهال واحلم عن السفهاء، فإن ذلك فضل الحلماء وزين العلماء، إذا شتمك الجاهل فاسكت عنه سلما، وجانبه حزما، فإن ما بقي من جهله عليك وشتمه إياك أكثر، يا ابن عمران لا تفتحن بابا لا تدري ما غلقه، ولا تغلقن بابا لا تدري ما فتحه، يا ابن عمران من لا تنتهي من الدنيا نهمته ولاتنقضي فيها رغبته كيف يكون عابدا، ومن يحقر حاله ويتهم الله بما قضى له كيف يكون زاهدا، يا موسى تعلم ما تعلم لتعمل به، ولاتعلم لتحدث به، فيكون عليك بوره، ويكون على غيرك نوره»[١٢١].

أيتام آل محمد

عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: حدثني أبي عن آبائه عليهم السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: «أشد من يتم اليتيم الذي انقطع عن أبيه يتم يتيم انقطع عن إمامه، ولا يقدر على الوصول إليه، ولا يدري كيف حكمه فيما يبتلي به من شرائع دينه، ألا فمن كان من شيعتنا عالما بعلومنا وهذا الجاهل بشريعتنا المنقطع عن مشاهدتنا يتيم في حجره، ألا فمن هداه وأرشده وعلمه شريعتنا كان معنا في الرفيق الأعلى»[١٢٢].

العالم بشريعتنا

وعن أبي محمد العسكري عليه السلام أيضاً قال: قال علي بن أبي طالب عليه السلام: «من كان من شيعتنا عالما بشريعتنا فأخرج ضعفاء شيعتنا من ظلمة جهلهم إلى نور العلم الذي حبوناه به، جاء يوم القيامة وعلى رأسه تاج من نور يضيء لأهل جميع العرصات، وعليه حلة لا يقوم لأقل سلك منها الدنيا بحذافيرها، ثم ينادي مناد: يا عباد الله، هذا عالم من تلامذة بعض علماء آل محمد، ألا فمن أخرجه في الدنيا من حيرة جهله فليتشبث بنوره ليخرجه من حيرة ظلمة هذه العرصات إلى نزه الجنان، فيخرج كل من كان علمه في الدنيا خيرا أو فتح عن قلبه

---

(١٢١) منية المريد: ص١٤٠- ١٤١ فصل٢ في لزوم الإخلاص من الآثار وكلام الأنبياء.

(١٢٢) مستدرك الوسائل: ج١٧ ص٣١٧ ب١١ ح٢١٤٥٨.

من الجهل قفلا أو أوضح له عن شبهة»[١٢٣].

مع الصديقة الطاهرة عليها السلام

قال أبو محمد العسكري عليه السلام: «حضرت امرأة عند الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام فقالت: إن لي والدة ضعيفة وقد لبس عليها في أمر صلاتها شيء، وقد بعثتني إليك أسألك.

فأجابتها فاطمة عليها السلام عن ذلك.

فثنت، فأجابت، ثم ثلثت إلى أن عشرت، فأجابت، ثم خجلت من الكثرة فقالت: لا أشق عليك يا ابنة سول الله.

قالت فاطمة: هاتي وسلي عما بدا لك، أرأيت من اكتري يوما يصعد إلى سطح بحمل ثقيل وكراه مائة ألف دينار أيثقل عليه؟

فقالت: لا.

فقالت: اكتريت أنا لكل مسألة بأكثر من ملء ما بين الثرى إلى العرش لؤلؤا، فأحرى أن لا يثقل علي، سمعت أبي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إن علماء شيعتنا يحشرون فيخلع عليهم من خلع الكرامات على قدر كثرة علومهم وجدهم في إرشاد عباد الله، حتى يخلع على الواحد منهم ألف ألف حلة من نور، ثم ينادي منادي ربنا عزوجل: أيها الكافلون لأيتام آل محمد صلى الله عليه وآله الناعشون لهم عند انقطاعهم عن آبائهم الذين هم أئمتهم، هؤلاء تلامذتكم والأيتام الذين كفلتموهم ونعشتموهم، فاخلعوا عليهم كما خلعتموهم خلع العلوم في الدنيا، فيخلعون على كل واحد من أولئك الأيتام على قدر ما أخذوا عنهم من العلوم، حتى إن فيهم يعني في الأيتام، لمن يخلع عليه مائة ألف خلعة، وكذلك يخلع هؤلاء الأيتام على من تعلم منهم، ثم إن الله تعالى يقول: أعيدوا على هؤلاء العلماء الكافلين للأيتام حتى تتموا لهم خلعهم وتضعفوها لهم، فيتم لهم ما كان لهم قبل أن يخلعوا عليهم ويضاعف لهم، وكذلك من بمرتبتهم ممن يخلع عليه على مرتبتهم.

وقالت فاطمة عليها السلام: يا أمة الله إن سلكاً من تلك الخلع لأفضل مما طلعت عليه الشمس

---

(١٢٣) بحار الأنوار: ج٢ ص٢ ب٨ ح٢.

ألف ألف مرة وما فضل فإنه مشوب بالتنغيص والكدر»[١٢٤].

من بركة العلم

وقال أبو محمد الحسن العسكري عليه السلام إن رجلا جاء إلى علي بن الحسين عليه السلام برجل يزعم أنه قاتل أبيه، فاعترف فأوجب عليه القصاص، وسأله أن يعفو عنه ليعظم الله ثوابه، فكأن نفسه لم تطب بذلك، فقال علي بن الحسين عليه السلام للمدعي للدم، الولي المستحق للقصاص: إن كنت تذكر لهذا الرجل عليك فضلا فهب له هذه الجناية واغفر له هذا الذنب.

قال: يا ابن رسول الله له علي حق ولكن لم يبلغ أن أعفو عن قتل والدي.

قال: فتريد ما ذا؟

قال: أريد القود، فإن أراد لحقه على أن أصالحه على الدية صالحته وعفوت عنه.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: فما ذا حقه عليك؟

قال: يا ابن رسول الله لقنني توحيد الله ونبوة محمد رسول الله وإمامة علي والأئمة عليهم السلام.

فقال علي بن الحسين عليه السلام: فهذا لا يفي بدم أبيك، بلى والله هذا يفي بدماء أهل الأرض كلهم من الأولين والآخرين سوى الأنبياء والأئمة عليهم السلام إن قتلوا فإنه لا يفي بدمائهم شيء أن قنع منه بالدية.

قال: بلى.

قال علي بن الحسين عليه السلام للقاتل: أفتجعل لي ثواب تلقينك له حتى أبذل لك الدية فتنجو بها من القتل.

قال: يا ابن رسول الله أنا محتاج إليها وأنت مستغن عنها فإن ذنوبي عظيمة وذنبي إلى هذا المقتول أيضا بيني وبينه لا بيني وبين وليه هذا.

قال علي بن الحسين عليه السلام: فتستسلم للقتل أحب إليك من نزولك عن هذا التلقين.

قال: بلى يا ابن رسول الله.

فقال علي بن الحسين عليه السلام لولي المقتول: يا عبد الله قابل بين ذنب هذا إليك وبين تطوله عليك، قتل أباك حرمه لذة الدنيا وحرمك التمتع به فيها، على أنك إن صبرت وسلمت

(١٢٤) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٣٤٠-٣٤١ في أن اليتيم الحقيقي هو المنقطع عن الإمام عليه السلام ح٢١٦.

فرفيقك أبوك في الجنان ولقنك الإيمان، فأوجب لك به جنة الله الدائمة وأنقذك من عذابه الدائم، فإحسانه إليك أضعاف أضعاف جنايته عليه، فإما أن تعفو عنه جزاء على إحسانه إليك، لأحدثكما بحديث من فضل رسول الله صلى الله عليه وآله خير لك من الدنيا بما فيها، وإما أن تأبى أن تعفو عنه حتى أبذل لك الدية لتصالحه عليها، ثم أخبرته بالحديث دونك فلما يفوتك من ذلك الحديث خير من الدنيا بما فيها لو اعتبرت به.

فقال الفتى: يا ابن رسول الله قد عفوت عنه بلا دية ولا شيء إلا ابتغاء وجه الله ومسألتك في أمره، فحدثنا يا ابن رسول الله بالحديث.

فذكر علي بن الحسين عليه السلام له الحديث[١٢٥].

❁❁❁

وهذا آخر ما أردنا إيراده في هذا الكتاب، والله الموفق للصواب، وهو المستعان.

قم المقدسة

رجب / ١٤٢٠هـ

محمد الشيرازي

(١٢٥) تفسير الإمام الحسن العسكري عليه السلام: ص٥٩٦-٦٠٠ في عقاب من كتم شيئاً من فضائلهم عليهم السلام ح٣٥٦.

الفهرس

كلمة الناشر ٤

المقدمة ٧

١: التأليف ١١

نشر العلم وعدم كتمانه ١١

التأليف وكثرة وسائل الإعلام ١٢

عند مفترق الطريق ١٢

في السوق الكبير ١٣

كتاب ومائة دولار ١٤

بنغلادش وحملات التنصير ١٤

نشرات وكتب للمرضى ١٥

أرقام نجومية ١٥

الإنجيل واللغات الحية ١٦

ما كتب حول غاندي ١٧

الطبع والنشر ١٨

مع صاحب الجواهر ١٩

مع المحدث القمي ٢٠

في سوق الصفارين ٢٠

من أنشطة الوهابيين ٢٢

٢: المنبر..... ٢٤

المجالس الحسينية وبركاتها..... ٢٤

الشيخ الأنصاري ﷺ والمنبر الحسيني..... ٢٦

من بركات المنبر والمجالس الحسينية ٢٧

الظلامة سلاح ماضٍ..... ٢٨

بلاغة الخطيب والخطابة..... ٢٩

٣: التدريس ٣١

صاحب الجواهر واهتمامه بالتدريس..... ٣١

من كلام الميرزا الكبير..... ٣٢

الآغا حسين القمي ﷺ ٣٢

التدريس ومعناه الشمولي ٣٢

الطلاب والعالم المعاصر ٣٢

التصدي للبدع والشبهات..... ٣٥

عند ما جاء عبد الكريم قاسم..... ٣٦

التضحية في سبيل الله..... ٣٦

فرح الملائكة بإجابة الشبهة ٣٧

الربح الأكبر ٣٧

العلماء المرابطون ٣٨

٤: المحراب ٣٩

مساجد المدينة المنورة **٣٩**

مراكز عبادة لجماعة النساء **٤١**

صلاة الجماعة وأهميتها **٤٢**

٥: التأسيس **٤٤**

المؤسسات الخيرية **٤٤**

الاستشارة رمز التقدم **٤٥**

ثقافة التعددية **٤٥**

توصية أخيرة **٤٦**

خاتمة: العلم والعلماء في القرآن الكريم والروايات الشريفة .. **٤٩**

النهي عن تصدي غير العالم **٥١**

من المستحبات الشرعية **٥٢**

طلب العلم فريضة **٥٢**

استماع العلم **٥٥**

خير من قيام ألف ليلة **٥٦**

العلم حياة للقلوب **٥٦**

مجالسة العلماء عبادة **٥٦**

من هو العالم **٥٦**

افضل من عبادة ألف سنة **٥٧**

العلم نور من الله **٥٨**

تفرغ للعلم **٦٠**

أيتام آل محمد ٦١
العالم بشريعتنا ٦١
مع الصديقة الطاهرة عليها السلام ٦٢
من بركة العلم ٦٣
الفهرس ٦٥